يوسف عليه السلام

بين مكر الإخوة وكيد النسوة

دراسة يجيبك فيها الإمام الفخر الرازي عن ٥٠ سؤالاً
من خلال تفسيره : مفاتيح الغيب

حققه وقدم له وعلق عليه

محمد علي أبو العباس

خطيب مسجد نادي الترسانة

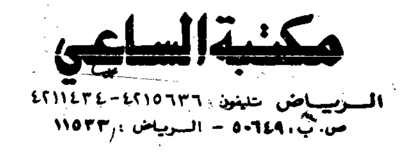

بسم الله الرحمن الرحيم

« الإهــداء »

« إلى من أسسوا طفولتى وصباى وشبابى ورجولتى على الطهر والعفاف إلى آبائى فى عالم الأرواح والخلود إلى إخوتى وأخواتى وأبنائى وبناتى فى دنيا الأحياء أهدى هذا الكتاب عظة وذكرى لأولى الألباب »

الراجى عفو ربه : -

محمد على أبو العباس

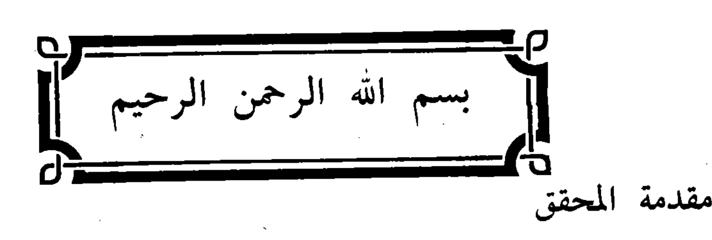

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد

فإن فى قصص القرآن واقعية لا خيال فيها ، وإن فيها صدقا لا كذب ، ولا التواء ، ولا مماراة ولا جدال ، وفوق كل ذاك فإن الهدف وضحه الكتاب من تثبيت لقلب الرسول - ﷺ - ﴿ وَكلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فى هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) . وفيها العبرة والذكرى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الأَلْبَابِ مَاكَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

وفى القصص دليل على صدق الرسول ﷺ فى تبليغ القرآن لأنه ما عاش مع هؤلاء الأقوام، وما رأى ما كان فى الزمان والمكان، وصدق القرآن ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَاكُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾(٣) .

وفى قصة يوسف عليه السلام عبرة وعظة ، تتصل بصميم حياة الإنسان فى كل زمان ومكان ، طالما كانت الذكورة والأنوثة ، وطالما

(١) ١٢٠ سورة هود (٢) ١١١ سورة يوسف
(٣) ١٠٢ سورة يوسف

كان الصراع بين الخير والشر ، وطالما كان الشيطان ينزغ[1] بين بنى الإنسان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى قصة يوسف وحولها تدور أسئلة شَتًّى، تناولها بالإجابة العلماء فى ندواتهم، فلمسوا كثيراً من الجوانب وأظهروا كثيرا من المعانى، لكن إمامنا الفخر الرازى جمع فأوعى، وقد عشت معه أستخلص تلك الدرر فى أجوبته على التساؤلات التى عرضها، والمسائل التى فسر بها الآيات وحاولت الإيجاز ليخرج الكتاب مناسبا لقارىء اليوم، الذى جذبته المرئيات وشغلته الماديات ، فابتعد عن الروحانيات ، وقد قدمت لكل فكرة بما يناسبها ولكل آية بما يدور حولها ، قبل أستعراض التساؤلات وعرض المسائل وحاولت الجدة فى الاستنباط والأسلوب، من غير حشو تفسيرى أو رأى لايناسب عصمة الأنبياء فإن أكن وفقت فلله الحمد والشكر ، وإن تكن الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وحسبى **خلوص** نيتى ، وعون خالقى ، إنه نعم المولى **ونعم** المعين ،

الفقير إلى ربه

محمد على أبو العباس

بنى مجدول - إمبابة - جيزة

القاهرة

ذو القعدة سنة ١٤٠٧ يوليو سنة ١٩٨٧

---

(١) نزغ الشيطان : أفسد وأغرى

دراسة التحقيق

١ - التعريف بالمؤلف .
٢ - التعريف بتفسيره وطريقته فيه .
٣ - اهتمامه بالمناسبات بين سور القران واياته .
٤ - اهتمام الرازى بالعلوم الرياضية والفلسفية .
٥ - الرازى والمعتزلة .
٦ - مميزات (مفاتيح الغيب) .
٧ - خطتى فى هذا الكتاب .

التعريف بالمؤلف :

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الطبرستانى ، الرازى لقبه فخر الدين والمعروف بابن الخطيب الشافعى، المولود سنه ٥٤٤هـ أربع وأربعين وخمسائة كان رحمه الله فريد عصره ، ومتكلم زمانه ، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها ، فهو إمام فى التفسير وعلم الكلام[١] وفى العلوم العقلية وعلوم اللغة ، ولقد أكسبه نبوغه العلمى شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد ، ويشدون إليه رحال العلم من شتى الأقطار ، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الرَّىّ ، وعن الكمال السمعانى وكثير من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم ، وله فوق تلك الشهرة العلمية شهرة كبيرة فى الوعظ ، حتى قيل : إنه كان يعظ باللسان العربى ، واللسان العجمى ، وكان يلحقه البكاء فى حال وعظه .

ولقد ترك لنا رحمه الله - مجموعة من تصانيفه فى الفنون المختلفة ، وقد انتشرت هذه التصانيف فى البلاد ورزق فيها الحظوة الواسعة ، والسعادة العظيمة ، إذ أن الناس اشتغلوا بها ، وأعرضوا عن كتب المتقدمين ومن أهم هذه الكتب : " مفاتيح الغيب " وهو ما نحن بصدده الآن ، وله تفسير " سورة الفاتحة " فى مجلد واحد ولعله هو الموجود بأول تفسيره . " مفاتيح الغيب " - وله فى علم الكلام كتاب (المطالب العالية ، كتاب البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان ، وله فى أصول الفقه " المحصول " وفى الحكمة : " الملخص " وشرح الإشارات لابن سينا وشرح عيون الحكمة ، ويقال إنه شرح المفصل فى النحو للزمخشرى ، وشرح الوجيز فى الفقه للغزالى وغير هذا كثير مما يظهر فيه علم الرجل الواسع الغزير توفى

(١) المقصود بعلم الكلام : علم التوحيد .

رحمه الله سنه ٦٠٦هـ ستمائة وست من الهجرة بالرى ويقال فى سبب الوفاة : إنه كان بينه وبين الكرامية خلاف كبير وجدل فى أمور العقيدة ، فكان ينال منهم وينالون منه سبا وتكفيراً وأخيرا سمموه فمات على إثر ذلك واستراحوا منه .(١)

التعريف بتفسيره وطريقته فيه : -

يقع هذا الكتاب فى ثمانى مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول فى ساحات العلم ، ويقول ابن قاضي شهبه إنه رأى الفخر الرازى لم يتمه كما يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان إذن فمن الذى أكمل هذا التفسير؟ وإلى أى موضع من القرآن وصل الفخر الرازى فى تفسيره ؟ إن الأقوال متضاربة فابن حجر العسقلانى فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة " يقول : الذى أكمل تفسير - مفاتيح الغيب . . هو أحمد بن محمد بن أبى الحزم مكى نجم الدين المخزومى مات سنه ٧٢٧هـ وهو مصرى وصاحب كشف الظنون يقول : وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى تكملة له وتوفى سنه ٧٢٧هـ وقاضى القضاة شهاب الدين بن خليل الدمشقى كمل ما نقص وتوفى سنه ٦٣٩هـ وهؤلاء يتفقون على أنه لم يتم التفسير ولكن يختلفون فيمن أتمه وأما إلى أى موضع وصل فإننا نجد الاختلاف أيضا ففى كشف الظنون ما نصه " الذى رأيته بخط السيد مرتضى نقلا عن شرح الشفا للشهاب أنه وصل إلى سورة الأنبياء .

وفى القراءة لهذا الكتاب وجد فى سورة الواقعة عند الآية (٢٤) هذه العبارة " المسألة الأولى أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله فى مواضع كثيرة ونحن نذكر بعضها " وهذه العبارة تدل على أن الرازى لم يصل إلى سورة الواقعة لكن فى الآية (٦) من سورة المائدة

(١) انظر وفيات الأعيان جـ٢ من ٢٦٥ - ٢٦٨ وشذرات الذهب جـ٥ صـ٢١ .

تعرض لموضوع النية فى الوضوء واستشهد لذلك بالآية " ٥ " من سورة البينة ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ وبين أن الإخلاص عبارة عن النية وهذه العبارة التى قالها تشعر بأنه فسر سورة **البينة** بحسب ظاهر العبارة وهى (وقد حققنا الكلام فى هذا الدليل فى تفسير قوله تعالى ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين** ﴾ فليرجع إليه فى طلب زيادة الإتقان .

والذى نستطيع قوله كحل لهذا الاضطراب[١] هو أن الرازى فسر إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب الدين الخوبى فشرع فى تكملة هذا التفسير ولكنه لم يتمه ، فأتى بعده نجم الدين القمولى فأكمل ما بقى منه ، كما يجوز أن يكون شهاب الدين أكمله إلى النهاية والقمولى كتب تكملة أخرى غير التى كتبها الخوبى وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون .

وأما إحالة الفخر على ما كتبه فى سورة البينة فهذا ليس بصريح فى أنه وصل إليها فى تفسيره إذ لعله كتب تفسيرا مستقلا لسورة البينة أو لهذه الآية وحدها فهو يشير إلى ما كتب فيها ويحيل عليه .

ويقول المرحوم الدكتور محمد الذهبى : أعتقد أنه ليس حلا حاسماً لهذا الاضطراب وإنما هو توفيق يقوم على الظن ، والظن يخطىء ويصيب .

ثم إن القارىء فى هذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتا فى المنهج والمسلك ، بل يجرى الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد ، وطريقة واحدة ، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يميز بين الأصل والتكملة ، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذى كتبه الفخر الرازى والمقدار الذى كتبه صاحب التكملة .

---

(١) التفسير والمفسرون صـ٢٧٨ الجزء الأول .

هذا وإن هذا التفسير ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء . وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة فى نواح شتى من العلم **ولهذا** يصفه ابن خلكان فيقول " إنه جمع فيه كل غريب وغريبة " ولست مع ابن عطية الذى يقول : فيه كل شيء إلا التفسير . فإنه رحمه الله مع الاستطراد إلى ذكر الأدلة والبراهين قد وفَّى الموضوع حقه .

اهتمامه بالمناسبات بين سور القرآن وآياته : -

يمتاز مفاتيح الغيب بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض ، وبين السور كذلك ، وكثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة ولا يكتفى بذكر مناسبة واحدة .

اهتمام الرازى بالعلوم الرياضية والفلسفية : -

يكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية ، وغيرها من العلوم التى حدثت فى عهده كالفلك وغيره ، كما أنه يعرض لكثير من أقوال الفلاسفة ويرد عليهم ويفند آراءهم ، ويقدم ذلك فى استدلال عقلى بما يتفق ومذهب أهل السنة .

الرازى والمعتزلة : -

لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها باعتباره من أهل السنة وإن كان البعض يرى رده غير كاف ولا شاف فالحافظ بن حجر يقول عنه فى لسان الميزان ، " وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر فى حلها حتى قال بعض المغاربة " يورد ، الشبه نقدا ويحلها نسيئة "(١) . إلا أننا نرى أن هناك دفاعا عن عقيدة أهل السنة .

(١) النسيئة : التأخير أى يتأخر فى رده على شبه المعتزلة .

مميزات – مفاتيح الغيب – :

يمتاز تفسير الفخر الرازى بمميزات منها : –

١ – وقوفه أمام بعض المرويات التى لا تتفق وعصمة الأنبياء .

٢ – يكاد يخلو من الإسرائيليات وإن كنا لا نوافقه فى ذكر أن الذبيح إسحاق .

٣ – يمتاز بذكر المسائل والوجوه المختلفة فى تفسير الآيات .

٤ – يعرض لأسئلة ويرد عليها بآراء المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتاده والسدى وابن جبير .

٥ – يعتمد على كبار علماء اللغة كالأصمعى وأبى عبيدة .

٦ – يقول المستشرق " جولد تسهر " ينبغىَ عده خاتمة أدب التفسير المثمر الأصيل .

٧ – يعرض لمذاهب الفقهاء فى آيات الأحكام ، مع ترويجه لمذهب الشافعى الذى يقلده بالأدلة والبراهين وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة فى علم الكلام وفى علوم الكون والطبيعة وأقوال الحكماء والفلاسفة .

خطتى فى هذا الكتاب : –

١ – قمت بعرض كيد إخوة يوسف له وما ترتب مع ذلك من إلقائه فى الجب وبيعه ودخوله بيت العزيز .

٢ – الاتهام من زوجة العزيز وما ترتب عليه من سجنه إلى أن منَّ عليه الرحمن .

٣ – البراءة الواضحة التى بها خرج يوسف وأصبح على خزائن الأرض .

٤ – العفو والإحسان والتئام الأسرة بعد ما كان وفى كل ذاك قدمت

للآيات وأتبعت ذلك بعرض الأسئلة التى ذكرها الإمام الرازى ورد عليها ، ثم ذكرت مسائل متفرقة فى تفسير الآيات .

٥ - حاولت عرض آراء المفسرين فى الموضوعات الحساسة مثل - الهم - والنفس الأمارة .

٦ - وضعت العناوين والعناصر التى جمعت الموضوع فى هذا العمل المتواضع البسيط . وها أنت ذا أيها الأخ الكريم تعيش مع الكتاب هدانا الله وإياك إلى الصواب وألهمنا الحكمة وفصل الخطاب ، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

الفقير إلى الله

محمد على أبو العباس

« الفصل الأول »

« كيد الأقرباء »

١ - كرم الأصل.

٢ - رؤيا حق.

٣ - مؤامرة وتنفيذ ·

٤ - سؤالات وأجوبة ·

٥ - مسائل فى تفسير الآيات ·

كرم الأصل : -

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل صلاة وأتم تسليم ، ويعقوب هو إسرائيل - وقد أتم الله نعمته عليهم فكانوا رسلا مبشرين ومنذرين ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بعضٍ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[1] .

كان يوسف جميل الصورة ، آثره يعقوب وخصه بقسط عظيم من محبته ، وذلك هو السبب فى حقد إخوته ، وكان سببا فى محنته التى كانت خيرا ، ونعمة ، عليه وعلى ، مصر والمصريين ، وصدق ابن عطاء الله السكندرى حين قال : - « ربما كمنت المنن فى المحن »

ذكر اسمه فى أربع وعشرين آية من سورة - يوسف وفى آية من سورة الأنعام وفى آية من غافر - أى فى ست وعشرين موضعا من القرآن الكريم يقول الفخر الرازى : -

« قال صاحب الكشاف : - الصحيح أنه اسم عبرانى لأنه لو كان عربيا لانصرف[2] لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف : وقرأ بعضهم (يوسِف) بكسر السين ، و (يوسَف) بفتحها ، وأيضا روى فى (يونس) هذه اللغات الثلاث ، وعن النبى ﷺ قال :

« إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام »[3]

رؤيا حـــق : -

رؤيا الأنبياء حق ، فليست أضغاث أحلام ، لأنه لا يدخلها شيطان ، وهاهو يوسف عليه السلام ، يرى فى المنام أن أحد عشر

---

(١) الآية ٣٤ آل عمران

(٢) الصرف فى اللغة التنوين أى أن اسم يوسف ممنوع من التنوين والتنوين : نون ساكنة تتبع آخر الاسم فى اللفظ لا الخط .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير : تفسير سورة يوسف ٣ / ١٤٢ . وفى كتاب بدء الخلق باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ٢ / ٢٤١ . وباب قوله تعالى . لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ٢ / ٢٤٣ . والترمذى فى كتاب التفسير . سورة يوسف ١١ / ٢٨١ .

كوكبا ، والشمس والقمر ، سجدوا له ، فقصها على أبيه فى غيبة إخوته يقول تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُم لِى سَاجِدِين . قَالَ يَابُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

يقول الفخر الرازى : - فى الآية سؤالات

السؤال الأول قوله ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ فقوله ﴿ ساجدين ﴾ لا يليق إلا بالعقلاء ، والكواكب جمادات ، فكيف جازت اللفظة المخصوصة بالعقلاء فى حق الجمادات ؟ إنه تعالى لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل ، فأخبر عنها كما يخبر عما يعقل كما قال فى صفة الأصنام ﴿ وَتَرَاهُمْ ينظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(٢) وكما فى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾(٣) -

السؤال الثانى : -قال ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾(٤) ثم أعاد لفظ الرؤيا مرة ثانية ، وقال ﴿ رَأَيْتُهُم لى سَاجِدِين ﴾ فما الفائدة فى هذا التكرير ؟ الجواب : - قال القفال رحمه الله : ذكر الله الرؤيا الأولى لتدل على أنه شاهد الكواكب ، والشمس والقمر والثانية لتدل على مشاهدة كونها ساجدة له ، وقال بعضهم : إنه لما قال ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كوكباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ فكأنه قيل له : كيف رأيت ؟ فقال ﴿ رَأَيْتُهُم لِى سَاجِدِين ﴾

---

(١) ٤ - ٦ سورة يوسف
(٢) ١٩٨ الأعراف .
(٣) الآية ١٨ سورة النمل .
(٤) ٤ سورة يوسف

السؤال الثالث : - لم أخر الشمس والقمر؟

قلنا : أخرهما لفضلهما على الكواكب لأن التخصيص بالذكر يدل على مزيد الشرف كما فى قوله : ﴿ **وَملاَئِكَتِهِ وَرسُلُهِ وَجِبْرِيلَ وميِكَاَل** ﴾[1]

السؤال الرابع : - هل المراد بالسجود نفس السجود أو التواضع ؟

قلنا : كلاهما محتمل ، والأصل فى الكلام حمله على حقيقته ولامانع أن يرى فى المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له .

السؤال الخامس : - متى رأى يوسف عليه السلام هذه الرؤيا ؟

قلنا : لاشك أنه رآها حال الصغر **قال** وهب : رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدائرة ، وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى ابتلعتها فذكر ذلك لأبيه فقال : إياك أن تذكر هذا لإخوتك ، ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال:لا تذكرها لهم فيكيدوا لك كيدا وقيل : كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل : ثمانون سنة .

السؤال السادس : قال بعضهم : المراد من الشمس والقمر أبوه وخالته فما السبب فيه ؟

قلنا : إنما قالوا ذلك من حيث ورد فى الخبر أن والدته توفيت وما دخلت عليه حال ماكان بمصر . قالوا ولو كان المراد من الشمس والقمر أباه وأمه لما ماتت لأن رؤيا الأنبياء عليهم السلام لابد وأن تكون وحيا وهذه الحجة غير قوية لأن يوسف عليه السلام ما كان فى ذلك الوقت من الأنبياء .

---

(١) الآية ٩٨ البقرة

السؤال السابع : وما تلك الكواكب ؟

قلنا روى صاحب الكشاف أن يهوديا جاء الى النبى ﷺ فقال : يامحمد أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف فسكت رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام لليهودى « **إن أخبرتك هل تسلم** » **قال نعم قال « حرثان والطارق ، والذيال ، وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين « رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له ، فقال اليهودى : أى والله إنها لأسماؤها** .[1] .

السؤال الثامن : ماالمراد بالاجتباء وتأويل الأحاديث ؟

اختلفوا فى المراد به فقال الحسن : يجتبيك ربك بالنبوة ، وقال آخرون : المراد منه إعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة فأما تعيين النبوة فلادلالة فى اللفظ عليه .

وأما تأويل الأحاديث ففيه وجوه :

الأول : المراد منه تعبير الرؤيا سماه تأويلا لأنه يؤول أمره إلى ما رآه فى المنام : يعنى تأويل أحاديث الناس فيما يرونه فى منامهم . قالوا : إنه عليه السلام كان فى علم التعبير غاية .

الثانى : تأويل الأحاديث فى كتب الله تعالى ، والأخبار المروية عن الأنبياء المتقدمين .

الثالث : الأحاديث جمع حديث . والحديث هو الحادث وتأويلها مآلها ، ومآل الحوادث إلى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من تأويل الأحاديث كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته .

---

(١) رواه الحاكم بنحوه فى مستدركه مع الاختلاف فى أسماء النجوم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ٤ / ٣٩٦ . والبيهقى بنحوه فى الدلائل مع نفس الاختلاف ٦ / ٢٧٧

السؤال التاسع :ما المراد بإتمام النعمة ؟ يقول الفخر الرازى فى ذلك أقوال :

القول الأول : -

اعلم أن من فسر الاجتباء[1] بالنبوة لا يمكنه أن يفسر إتمام النعمة هاهنا بالنبوة أيضا وإلا لزم التكرار ، بل يفسر إتمام النعمة هاهنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة ، أما سعادات الدنيا فالإكثار من الأولاد والخدم والأتباع والتوسع فى المال والجاه والحشم وإجلاله فى قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد ، وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق فى معرفة الله تعالى .

وأما من فسر الاجتباء بنيل الدرجات العالية فها هنا يفسر إتمام النعمة بالنبوة ويتأكد هذا بأمور : -

الأول : إن إتمام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة ، كاملة خالية عن جهات النقصان ، وماذاك فى حق البشر إلا بالنبوة ، فإن جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبه إلى كمال النبوة فالكمال المطلق والتمام المطلق فى حق البشر ليس إلا النبوة .

الثانى : - قوله ﴿ **كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** ﴾[2] ومعلوم أن النعمة التامة التى بها حصل امتياز إبراهيم وإسحاق عن سائر البشر ليس إلا النبوة فوجب أن يكون المراد بإتمام النعمة هو النبوة .

القول الثانى : - أن المراد من قوله ﴿ **ويتم نعمته عليك** ﴾ خلاصه من المحن ويكون وجه التشبيه فى ذلك بإبراهيم وإسحق عليهما

---

(١) اجتباه : اصطفاه واختاره .

(٢) الآية ٦ - يوسف

السلام هو إنعام الله تعالى على إبراهيم بإنجائه من النار ، وعلى ابنه إسحاق بتخليصه من الذبح[1] .

القول الثالث : - أن إتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه فى الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم فى الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى فى الجنة واعلم أن القول الأول هو الصحيح لأن النعمة التامة فى حق البشر ليست إلا النبوة ، وكل ماسواها فهى ناقصة بالنسبة إليها ، ثم إنه عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ، ختم الكلام بقوله ﴿ **إِنَّ ربكَ عَلِيمٌ حكِيم** ﴾ - فقوله (عليم) إشارة إلى قوله ﴿ **الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسَالَتَهُ** ﴾[2] وقوله (حكيم) إشارة إلى أن الله تعالى مقدس عن السَّفه والعبث لا يضع النبوة إلا فى نفس قدسية ، وجوهرة مشرقة علوية » .

مؤامرة وتنفيذ :

رأى إخوة يوسف من إيثار أبيهم له **وحدبه** عليه ، مالم يكن لواحد منهم ، فاغتاظوا وهم فى سن الشباب وطيش الحداثة ، فأضمروا له الشر فقالوا لأبيهم ﴿ **مالك لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وإنا له لناصحون أَرْسِلْه معَنَا غدًا يرْتَعْ ويَلْعبْ وإنالَهْ لحَافِظُون** ﴾[3]

(١) تلك دعوى اليهود وذلك حرصا منهم على أن يكون إبوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه والصحيح أن الذبيح اسماعيل والدليل من **التوراة** نفسها حيث وصف الذبيح بأنه ابن ابراهيم الوحيد اى الذى ليس له سواه وإذا رجعنا إلى إسحاق لم نجده وحيدا لإبراهيم فى يوم من الأيام لأن إسحاق ولد ولإسماعيل أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة وبقى اسماعيل إلى أن مات ابراهيم وحضر وفاته ودفنه وأيضا فإن ذبح اسحاق يناقض الوعد الذى وعد الله به إبراهيم أن إسحاق سيكون له نسل وأيضا فإن الذبح حدث بمكة وإسماعيل هو الذى ذهب به أبوه إليها رضيعا وثبت ذلك فى حديث البخارى عن ابن عباس ، وذكر الآية بعد قصة الذبح فى سورة الصافات ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق** ﴾ فالإيتان بالبشرى بإسحاق بعد ذكر القصة صريح فى أن إسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه والمفسرون الذين نقلوا إن الذبيح اسحاق ساروا وراء تلك الإسرائيليات وقد ظهر من كتبهم **نقض** دعواهم .

(٢) الآية ١٢٤ سورة الأنعام

(٣) الآية ١٢ يوسف

وبإحساس قلب الأب تخوف وقال لهم - ﴿ إنى لَيحزُننى أنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأخَافُ أَنْ يأكُلَهُ الذِّئبُ وَأَنْتمُ عَنْهُ غافِلُون ﴾[١] وكان جوابهم لا يبقى له علة يتشبث بها ﴿ لئنْ أكَلَهُ الذِّئبُ ونَحنُ عُصْبَةٌ إنَّا إذاً لخَاسِرُونَ ﴾[٢] فلما تسلموه وقد انتهوا إلى إلقائه فى الجب بعد أن يعروه من قميصه ولا يسفكوا دمه ، وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه ﴿ فَلَمَّا ذَهبُواْ بِهِ وأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ ﴾[٣]

والمريب يشعر من نفسه بالتهمه (كاد المريب يقول خذونى) ولذا قالوا لأبيهم - ﴿ ومَآ أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنَا ولوكُنَّا صَادِقِينَ ، وَجَآءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٤] وهنا ظهرت مهارة يعقوب فى كشف كذبهم وما أمهره من قاض يقول لهم متهكما« ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ، ولم يعمل فى قميصه نابا ولا ظفرا » ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فصَبْرٌ جَمِيلٌ . واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَىَ مَا تَصِفُونَ)[٥]

إن الذئب برىء من دم ابن يعقوب فذلك ظلم وافتراء من أقرب الأقرباء

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام[٦] المُهَنَّد

وستكشف الأيام عن الحقيقة فى وضوح وجلاء .

مع الفخر الرازى : يطرح الإمام الرازى تساؤلات ويضع الجواب الشافى لكل سؤال منها فيقول :

السؤال العاشر : إن من الأمور المعلومة أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد ، ويورث الآفات ، فلما كان يعقوب

---

(١) ١٣ يوسف (٢) ١٤ يوسف (٣) ١٥ يوسف
(٤) ١٧ ، ١٨ يوسف (٥) ١٨ يوسف (٦) السيف المصنوع فى بلاد الهند

عليه السلام عالما بذلك فلم أقدم على هذا التفضيل وأيضا الأسن[١] والأعلم والأنفع أفضل فلم قلب هذه القضية ؟ والجواب : أنه عليه السلام ما فضلهما على سائر الأولاد إلا فى المحبة ، والمحبة ليست فى وسع البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم .

السؤال الحادى عشر : أن أولاد يعقوب إن كانوا قد آمنوا بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى ، فكيف اعترضوا عليه ، وكيف زيفوا طريقته ، وطعنوا فى فعله ؟ وإن كانوا مكذبين لنبوته ، فهذا يوجب كفرهم .

الجواب : أنهم كانوا مؤمنين بنبوة أبيهم مقرين بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى إلا أنهم لعلهم جوزوا من الأنبياء أن يفعلوا أفعالا مخصوصة بمجرد الاجتهاد ، ثم إن اجتهادهم أدى إلى تخطئة أبيهم فى ذلك الاجتهاد وذلك لأنهم كانوا يقولون : هما صبيان ما بلغا العقل ، ونحن متقدمون عليهما فى السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة ، والقيام بالمهمات وإصراره على تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل ، وأما يعقوب فلعله كان يقول : زيادة المحبة ليست فى الوسع والطاقة فليس لله على فيه تكليف . وأما تخصيصهما بمزيد البر فيحتمل أنه كان لوجوه : أحدها أن أمهما ماتت وهما صغار . وثانيها لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة مالم يجد فى سائر الأولاد وثالثها لعله وإن كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم أشرف وأعلى مما كان يصدر عن سائر الأولاد .

السؤال الثانى عشر : أنهم نسبوا أباهم إلى الضلال المبين ، وذلك مبالغة فى الذم والطعن ومن بالغ فى الطعن فى الرسول كفر لاسيما إن كان الطاعن ولدا فإن حق الأبوة يوجب مزيد التعظيم **والجواب** : المراد منه الضلال عن رعاية المصالح فى الدنيا لا البعد عن طريق الرشد والصواب .

---

(١) الأسن : الاكبر فى السن

السؤال الثالث عشر : ظهر كذب إخوة يوسف وخيانتهم فلم صبر يعقوب على ذلك؟ ولم لم يبالغ فى التفتيش والبحث سعيا منه فى تخليص يوسف عن البلية والشدة إن كان فى الأحياء ، وفى إقامة القصاص إن صح أنهم قتلوه ، فثبت أن الصبر فى المقام مذموم .
والجواب عنه : أن نقول لا جواب عنه إلا أن يقال إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ، وتغليظا للأمر عليه ، وأيضا لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوياء . وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ فى البحث فربما أقدموا على إيذائه وقتله ، وأيضا لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة ، وأن أمره سيعظم بالآخرة ثم لم يرد هتك أستار سرائر أولاده ومارضى بإلقائهم فى ألسنة الناس ، وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلم الآخر وقع الأب فى العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم ، وإن انتقم فإنه يحترق قلبه على الولد الذى ينتقم منه ، فلما وقع يعقوب عليه السلام فى هذه البلية رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر إلى الله تعالى بالكلية » .

مسائل فى تفسير الآيات : -

ينتقل بنا الفخر الرازى من سؤالاته إلى مسائله التى يطرحها حول الآيات فيقول : -
المسألة الأولى : - ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون ﴾[1] روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين ، سلوا محمدا لم أنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر ، وعن كيفية قصة يوسف فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية

١ - الايه ٢ - يوسف

ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير : إنا أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه قرآنا عربيا .
وسمى بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض .

المسألة الثانية : - احتج الجبائى بهذه الآية على كون القرآن مخلوقا من ثلاثة أوجه .

الاول : أن قوله ﴿ **إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ** ﴾ يدل عليه ، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من حال إلى حال .

الثانى : - أنه تعالى وصفه بكونه عربيا والقديم لا يكون عربيا ولا فارسيا .

الثالث : - أنه لما قال ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عرَبيًا** ﴾ دل على أنه تعالى كان قادرا على أن ينزله لا عربيا وذلك يدل على حدوثه

الرابع : - أن قوله ﴿ **تِلْكِ آيَاتُ الكِتَابِ** ﴾ يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات وكل ما كان مركبا كان محدثا[1] .

الجواب : - يقول الفخر الرازى يرد على هذه الوجوه : إنها تدل على أن المركب من الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات محدث وذلك لا نزاع فيه ، إنما الذى ندعى قدمه شيء آخر فسقط هذا الاستدلال » .

المسألة الثالثة : - ﴿ **لَقَد كَان فِى يُوسُفَ وإِخْوتِه آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ** ﴾[2] ذكر صاحب الكشاف أسماء إخوة يوسف : - يهودا ، روبيل ، شمعون ، لاوى ، ربالون ، يشجر ، دنية ، دان ، نفتالى ، جاد ، آشر ثم قال : السبعة الأولون من «**ليا**» بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين «**زلفة وبلهة**» فلما توفيت ليا تزوج أختها «**احيل**» فولدت بنيامين ويوسف .

المسألة الرابعة : - ذكروا فى تفسير قوله تعالى ﴿ آياتٌ للسائلين ﴾

---

(١) ذكرها ثلاثة فى البدايه ولكنه أتى بأربعة أوجه

(٢) الآية ٧ يوسف

وجوها : -

الأول : - قال ابن عباس دخل حبر[1] من اليهود على النبى ﷺ فسمع منه قراءة يوسف فعاد إلى اليهود فأعلمهم أنه سمعها منه كما هى فى **التوراة** ، فانطلق نفرمنهم فسمعوا كما سمع فقالوا له من علمك هذه القصة ؟ فقال :

الله علمنى فنزل ﴿ **لقَدَ كاَنَ فى يوُسُف وإخَوته آيَات للسَائِلين** ﴾[2]

وهذا الوجه عندى بعيد لأن المفهوم من الآية أن فى واقعة يوسف آيات للسائلين وعلى هذا الوجه الذى نقلناه ما كانت الآيات فى قصة **يوسف بل كانت الآيات فى إخبار محمد ﷺ عنها من غير سبق تعلم ولا مطالعة وبين الكلامين فرق ظاهر .**

الثانى : - أن أهل مكة أكثرهم كانوا أقارب الرسول وكانوا ينكرون نبوته ، ويظهرون العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فذكر الله تعالى هذه القصة وبين أن إخوة يوسف بالغوا فى إيذائه لأجل الحسد ، وبالآخرة فإن الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده ورايته ومثل هذه الواقعة إذا سمعها العاقل كانت زجرا له عن الإقدام على الحسد .

الثالث : أن يعقوب لما عبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير ودخل فى الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك أن الله تعالى لما وعد محمداً عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الأعداء فإذا تأخر ذلك الموعد مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبا فيه فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه .

الرابع : أن إخوة يوسف بالغوا فى إبطال أمره ولكن الله تعالى لما وعده بالنصر والظفر كان الأمر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الأعداء ، فكذلك واقعة محمد ﷺ فإن الله لما ضمن إعلاء الدرجة لم

(١) الحبر بالفتح والكسر والجمع أحبار علماء اليهود

(٢) رواه البيهقى من رواية طويلة له باب ما جاء فى تعجب الحبر الذى سمعه يقرأ سورة يوسف لموافقتها ما فى التوراة وسؤال من سأله عن أسماء النجوم التى رآها ساجدة له ٦ / ٢٧٦

يضره سعى الكفار فى إبطال أمره وأما قوله (للسائلين) فاعلم أن هذه القصة فيها آيات كثيرة لمن سأل عنها .

المسألة الخامسة : – ﴿ **وألقوه فى غَيَابتِ الجُبُّ** ﴾[1] اختلفوا فى ذلك الجب فقال قتادة : هو بئر ببيت المقدس وقال وهب : هو بأرض الأردن وقال مقاتل : هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ، وإنما عينوا ذلك الجب للعلة التى ذكروها وهى قولهم ﴿ **يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السيَّارَة** ﴾ وذلك لأن تلك البئر كانت معروفة وكانوا يردون عليها كثيرا ، وكان يعلم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب لأن السيارة إذا جازوا وردوها ، وإذا وردوها شاهدوا ذلك الإنسان فيها ، وإذا شهدوا أخرجوه وذهبوا به فكان إلقاؤه فيها أبعد عن الهلاك .

المسألة السادسة : – فى قوله ﴿ **وأوَحْيَنْاَ إلَيهْ لتنبئنهم بأمرهم هذا وُهمْ لاَ يَشْعُرُون** ﴾[2] قولان : –

الأول : – أن المراد منه الوحى والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى أنه عليه السلام هل كان فى ذلك الوقت بالغا أو كان صبيا ؟ قال بعضهم إنه كان فى ذلك الوقت بالغا وكان سنه سبع عشرة سنة ، وقال آخرون : إنه كان صغيرا إلا أن الله تعالى أكمل عقله وجعله صالحا لقبول الوحى والنبوة كما فى حق عيس عليه السلام .

الثانى : – أن المراد من هذا الوحى الإلهام كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَأوَحْينَا إلَى أُم موُسىَ** ﴾[3] وقوله ﴿ **وَأوْحىَ رَبُكَ إلَى النَّحلِ** ﴾[4] والأول : أولى لأن الظاهر من الوحى ذلك

---

(١) ١٠ سورة يوسف

(٢) ١٥ سورة يوسف

(٣) ٧ القصص

(٤) الآية ٦٨ سورة النحل

فإن قيل : كيف يجعله نبيا فى ذلك الوقت وليس هناك أحد يبلغه الرسالة ؟ قلنا لا يمتنع أن يشرفه بالوحى والتنزيل ويأمره بتبليغ الرساله بعد أوقات ويكون فائدة تقديم الوحى تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه .

الفصل الثانى

(اتهام)

١ - فى بيت العزيز - المنن فى المحن
٢ - مغريات مع إيمان وثبات
٣ - واقعة الهم
٤ - مع المفسرين
٥ - شهادة عظمى
٦ - حديث المدينة
٧ - يوسف فى السجن
٨ - سؤالات وأجوبة
٩ - مسائل فى تفسير الآيات

فى بيت العزيز : -

تُرك يوسف فى الجب وحيدا إلا من عناية الله وحفظه ورعايته وجاءت القافلة فأرسلو واردهم فأدلى دلوه فى الجب (البئر) وكانت قليلة الماء ، فتعلق يوسف بالدلو فلما رأوه استبشروا وأخفوه فى أمتعتهم وجعلوه بضاعة تباع وباعوه فى مصر بثمن دون قيمته لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينتزعوه منهم وقال رئيس الشرطة فى مصر - بعد أن اشتراه - لزوجته ﴿ **أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَىَ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتخِذَهُ وَلَداً** ﴾[1] فكان يوسف أثيراً لديه فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف فى بيته ، وقد تولى الله يوسف بالهداية والتربية والتوفيق ، وعلمه من لدنه علما عظيما ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[2]

المنن فى المحن

وهنا تأتى المحنة كما قال ابن عطاء « ربما كمنت المنن فى المحن » حيث نظرت زوجة العزيز إلى جماله المفرط فأشعل فى نفسها جذوة الحب فأخذت تداعبه وهو يعرض لإيمانه بالله وطهارته من الأرجاس ، ولأمانته مع سيده الذى أكرم مثواه ولما هاج بها هائج الغرام ، صارحته بالقول ودعته إلى نفسها وأخذت العدة وغلقت

---

(١) الآية ٢١ يوسف
(٢) الآية ٢١ ، ٢٢ يوسف

الابواب وقالت : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ قال ﴿ مَعَاذَ اَللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَهُ لَايُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] .

مغريات مع إيمان وثبات : ـ

إنه الموقف العنيف : شاب فى ريعان شبابه تدعوه سيدته الجميلة إلى نفسها فيغلبه دينه ثم يولى وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها وهى تجاذبه ثوبه حتى تمزق من الخلف إلى أن يصلا إلى الباب هو يريد فتحه وهى تحول بينه وبين مايريد وحينئذ يجد أن بعلها[2] عند الباب .

فتتقدم باكية شاكية وينطبق عليها المثل (ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى) وماذا يقول يوسف فى هذا الموقف الحرج ، لكن ابن عمها أظهر فراسته[3] فى تحقيق الحق من قولها فظهر كذبها لأن قميصه مزق من الخلف وهى تجرى خلفه وهنا كانت اللائمة عليها فدعيت إلى الاستغفار وأمر يوسف بالكتمان . اقرأ قول الله : ـ

﴿ قَالَتْ مَاجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ هِىَ رَاوِدَتْنِى عَنْ نَفْسى وشَهَد شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِين وَإِنْ كَانَ قَمِيصُه قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ من الصَّادِقِين فَلَمَّا رَأَى قَمِيصهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَهُ مِنْ كَيدِكُنَ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ يُوُسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا واسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾[4]

وهنا تطرح تلك التساؤلات التى يجيبنا عليها الفخر الرازى بإفاضة وإقناع .

---

(١) الآية ٢٣ يوسف
(٢) البعل : الزوج
(٣) الفراسة : التثبت والنظر
(٤) الآيات من ٢٥ ـ ٢٩ يوسف

السؤال الرابع عشر : - ما تفسير الحكم والعلم ﴿ **آتَيْنَاهُ حُكْماً وعِلْماً** ﴾ ؟ وكيف يقول يوسف عن العزيز ﴿ **إِنَّهُ رَبِّى** ﴾ ؟

والجواب : الحكم والحكمة : حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشينها . فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وقيل الحكم النبوة والعلم : علم الدين ويحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارة بالسوء ومتى صارت القوة الشهوانية مقهورة فاضت الأنوار القدسية ، والأضواء الإلهية من عالم القدس على جوهر[1] النفس ففى قوله ﴿ **آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْمَاً** ﴾ إشارة إلى استكمال النفس فى قوتها العملية والنظرية والله أعلم .

وأما قوله عن العزيز (إِنَهُ رَبِّى) فهو أنه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ماكانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وأيضاً أنه ربَّاه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة . فعنى بكونه ربًّا له كونه مربيا له ، وهذا هن باب المعاريض الحسنة .

السؤال الخامس عشر : - ذكر يوسف عليه السلام فى الجواب عن كلامها ثلاثة أشياء : -

أحدها قوله ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ** ﴾ والثانى قوله تعالى عنه ﴿ **إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ** ﴾ والثالث قوله ﴿ **إِنَهُ لاَيُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ فما وجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض ؟

والجواب هذا الترتيب فى غاية الحسن وذلك لأن الانقياد لأمر الله تعالى وتكليفه أهم الاشياء لكثرة انعامه وألطافه فى حق العبد فقوله ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ** ﴾ إشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية . فلما كان هذا الرجل قد أنعم فى حقى تقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة وأيضا صون النفس عن

(١) الجوهر : الأصل

الضرر واجب ، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزى فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة واللذة القليلة اذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها فقوله ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ إشارة إليه ، فثبت أن هذه الجوابات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب .

واقعة الْهَمّ

هنا سرح المفسرون وشطحوا ، ووقع الكثيرون منهم فى شراك الإسرائيليات حتى إن بعضهم صور الموقف بدقائقه وتفصيلاته مطلقا لخياله العنان ، ولم يلتزموا جانب الأدب الإلهى فى الإيجاز القرآنى والنظر إلى عصمة الأنبياء .

مع الفخر الرازى : ـ أفاض فى هذا الموقف فقال : ـ إن يوسف عليه السلام كان بريئا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب[1] ، واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء كثيرة . فالزنا من منكرات الكبائر والخيانة فى معرض الأمانة أيضا من منكرات الذنوب ، أيضا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب ، وأيضا الصبى إذا تربى فى حجر إنسان وبقى مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبى على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال إذا ثبت هذا فنقول إن هذه المعصية التى نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه . فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة .

---
(١) نذب : أى ندافع

وإذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر الهم فى الآيه يقع فى مقامين الأول : ـ أن نقول لانسلم أن يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه : أنه تعالى قال ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾[1] وجواب لولا ههنا مقدم وهو كما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك .

الثانى : ـ سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول إن قوله ﴿ **وَهَمَّ بِهَا** ﴾ لايمكن حمله **على** ظاهره بل المراد هم بدفعها عن نفسه يقال : هممت بفلان أى **بضربه** ودفعه .

السؤال السادس عشر : ما المراد بالبرهان ؟

يقول الفخر الرازى :

المراد به ماقاله المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروه بوجوه : الأول أنه حجة الله تعالى فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب والثانى : أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة بل نقول : إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِرَكُم تَطْهِيرا** ﴾[2] . فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق ، وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات والثالث : ـ أنه رأى مكتوبا فى سقف البيت ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾[3] والرابع : أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والدليل عليه أن الأنبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى ﴿ **ياأَيُّهاالَّذِين آمَنوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُون كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّه أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ** ﴾[4] وأيضا أن الله تعالى ·

---

(١) ٢٤ يوسف . (٢) ٣٣ الأحزاب

(٣) ٣٢ سورة الاسراء . (٤) **الآية ٢ : ٣ الصف**

عير اليهود بقوله ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾[1] ومايكون عيبا فى حق اليهود فكيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات .

السؤال السابع عشر : - ماالفرق بين السوء والفحشاء فى قوله ﴿ لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ فى الفرق بين السوء والفحشاء وجوه : الأول : أن السوء جناية اليد والفحشاء هو الزنا .

الثانى : السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء هو الزنا . أما قوله ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾[2] أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ، ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾[3] .

مع المفسرين فى المراد بالهم : -

يقول ناصر الدين البيضاوى : - المراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لاالقصد الاختيارى وذلك مما لايدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم كقولك (قتلته لو لم أخف الله) .

ويقول علماء لجنة القرآن والسنة فى المنتخب : -

ولقد عزمت أن تخالطه ونازعته نفسه إليها لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فامتنع عن المعصية والخيانة ، وثبت على طهره وعفته ،

(١) ٤٤ سورة البقرة

(٢) ٢٤ يوسف (٣) ٤٦ ، ٤٧ سورة ص

وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه سوء الخيانة ومعصية الزنى إنه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

وفى صفوة التفاسير : - وهم بها - أى مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ، وحدثته نفسه بالنزول عند رغبتها حديث نفس دون عزم وقصد فبين الهمين فرق كبير وهذا من باب المشاكلة فى البلاغة وهى الاتفاق فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى »[1] .

وقال أبو السعود فى تفسيره : - إن همه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ميلا جِبِلِّيّاً لا أنه قصدها قصدا اختياريا ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبىء عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين ، وهل هو إلا تسجيل بإستحالة صدور الهم منه تسجيلا محكماً ؟ وما قيل إنه حل الهميان وجلس مجلس الختان فإنما هى خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والأذهان » .

وفى ظلال القرآن : يقول - المرحوم « سيد قطب »

« أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص ، وأراجع الظروف التى عاش فيها يوسف فى داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة فترة من الزمن طويلة ، وقبل أن يؤتى الحكم والعلم وبعد ما أوتيهما . الذى خطر لى أن قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رأَى بُرْهَانَ رَبِه** ﴾[2]

هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعد ما أبى يوسف فى أول الأمر واستعصم ، وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله فى النهاية

(١) المشاكلة كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخة ... قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

(٢) ٢٤ يوسف

والنجاة ، ولكن السياق القرانى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالية لأن المنهج القرآنى لايريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة ، وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك ، فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته ، مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعا وهو اقرب الى الطبيعة البشرية والى العصمة النبوية وما كان يوسف سوى بشر نعم انه بشر ممتاز ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات فلما أن رأى برهان ربه الذى نبض فى ضميره وفى قلبه بعد لحظة الضعف الطارئة عاد الى الاعتصام والتأبى »[١] .

شهادة عظمى : - يقول الفخر الرازى فى تفسيره ما خلاصته : - أنه شهد ببراءة يوسف رب العزة حيث قال ﴿ **إِنَّه مِنْ عبادِنَا الْمُخْلَصِينْ** ﴾ وشهد الشيطان ببراءته حيث جاء فى القرآن ﴿ **فَبِعِزَتِكَ لأغْوِيَنَهُم أَجْمَعِين إلاَّ عِبَادِكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين** ﴾[٢] وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال ﴿ **إِنْ كَانَ قَميصُهُ قُدَّ من قُبُلِ فَصَدَقَتْ وهو مِنَ الكَاذِبِين وَإِنْ كَانَ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ منَ الصَادِقِين فَلَمَّا رأى قَمِيصَه قُدَّ مِنْ دُبرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُن إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ وشهد ببراءته النسوة اللائى قطعن أيديهن بقولهن ﴿ **مَا عَلِمْنَا عَلَيه مِنْ سُوءٍ** ﴾[٣] وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتهُ عَنْ نَفْسِه وإِنَّهُ لَمَنَ الصَّادِقين** ﴾[٤] فالذى يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا معز له من الإقرار بالحق على أى حال ، وهو براءة يوسف من الهم بها »

١ - جزء ٤ ص ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ظلال القرآن
٢ - ٨٢ ، ٨٣ سورة ص
٣ - ٥١ يوسف
٤ - ٥١ سورة يوسف

حديث المدينة : ـ

شاع الخبر ولاكته أفواه النساء باللوم على زوجة العزيز ودوى هذا اللوم فى أذنها ، فأخذت تكيد لهن ، فأرسلت إلى طائفة من مثيلاتها ، وقدمت لهن طعاما يقطع بالسكين من فاكهة أو لحم وقالت له : اخرج عليهن فلما ظهر أخذهن حسنه الرائع وجماله البارع فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن قلن متعجبات مندهشات تنزيها لله ما هذا الذى نراه بشراً لأن البشر لايكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا إلا ملك كثير المحاسن طيب الشمائل ، سخِىُّ الصفات .

وهنا قالت لهن ﴿ فَذَلِكُنَ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَمْ يَفْعَلْ مَاآمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَاً مِنَ الصَّاغِرِين ﴾[1] .

مع الفخر الرازى : ـ نعود إلى الامام الرازى ليجيبنا على مسائله وتساؤلاته بما يقنع ويفهم وما يشبع الجائعين .

السؤال الثامن عشر : ـ لم لم يقل (**وقَالَتْ نِسْوَةٌ**) .

قلنا لوجهين : الأول أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث الثانى : قال الواحدى تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع .

السؤال التاسع عشر : ـ فإن قيل إنه تعالى لما خلق الإنسان ضعيفاً فكيف وصف كيد المرأة بالعظم ، وأيضا فكيد الرجال قد يزيد على كيد النساء ؟

والجواب عن الأول : أن خلقة الإنسان بالنسبة إلى خلقة الملائكة

(١) ٣٢ يوسف

والسموات والكواكب خلقة ضعيفة وكيد النسوات بالنسبة إلى كيد البشر عظيم ولامنافاة بين القولين . وأيضاً فالنساء لهن فى هذا الباب من المكر والحيل ما لايكون للرجال ولأن كيدهن فى هذا الباب يورث من العار ما لايورثه كيد الرجال .

السؤال العشرون : ـ فإن قيل : فلم قالت (**فَذَلِكُنَّ**) مع أن يوسف عليه السلام كان حاضرا ؟

والجواب عنه من وجوه : الأول قال ابن الأنبارى أشارت بصيغة ذلكن إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس . والثانى وهو الذى ذكره صاحب الكشاف وهو أحسن ما قيل : إن النسوة كن يقلن . إنها عشقت عبدها الكنعانى ، فلما رأينه ووقعن فى تلك الدهشة قالت : هذا الذى رأيتموه هو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه يعنى : أنكن لم تتصورنه حق تصوره ولو حصلت فى خيالكن صورته لتركتن هذه الملامة .

يوسف فى السجن يدعو لدينه :

أدخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها ، وإنما كان ذلك سعيا فى إخفاء فضيحة زوجة العزيز ودخل معه السجن غلامان كانا للملك الأكبر بمصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن أن الآخر يساعده عليه فأمر بحبسهما .

وبعد يوم جاء إلى يوسف صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى فى منامه أنه يعصر فى كأس الملك الخمر يتناول العنقود من العنب ويعصره فى كأس الملك وجاء الخباز صاحب طعام الملك وقال : إنى رأيت فوق رأسى طبقاً من الخبز والطير تأكل منه وطلبا إليه أن ينبىء

كل واحد منهما بتأويل ما رأى فى منامه انتهز يوسف الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم إليه وقام فيهم خطيبا يخبرهم بمقدرته على تأويل الرؤيا وإخبارهما بما يأتيهما من طعام قبل إتيانه وكيفية صنعته .

وذلك من تعليم الله له لأنه ترك قوما لايصدقون بالله ولا بالآخرة واتبع دين آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فما صح لنا أن نجعل لله شريكا بل تفضل علينا بالتوحيد ولكن أكثر الناس لايتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر وسأل صاحبيه : ـ ﴿ **أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾[1] ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتموها أنتم وآباؤكم على أوهام لا وجود لها ، فلا عبادة إلا لله وحده فذلك هو الدين القويم ولكن أكثر الناس لايعلمون ما هم عليه من جهل وضلال ، ولايسترشدون بهذه الأدلة وانتهى من خطبته الوعظية ليقول لهما : إن الذى رأى أنه يعصر العنب سيخرج من السجن ويسقى الملك خمراً وأما الثانى فإنه سيصلب فتأكل الطير من رأسه .

ثم الأمر على الوجه الذى بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا ، وطلب من الناجى أن يذكره أمام الملك لعله ينصفه وينقذه لكن الشيطان شغله وأنساه فبقى يوسف فى السجن سنين لا تقل عن ثلاث .

وقفة مع الفخر الرازى : ـ يقول فى الآية سؤالات : ـ

السؤال الحادى والعشرون : كيف عرفا أنه عليه السلام عالم بالتعبير ؟

والجواب : لعله عليه السلام سألهما عن حزنهما وغمهما فذكرا إنا رأينا فى المنام هذه الرؤيا ، ويحتمل أنهما رأياه وقد أظهر معرفته بأمور منها تعبير الرؤيا فعندها ذكرا له ذلك .

---

(١) ٣٩ يوسف

السؤال الثانى والعشرون : — ماحقيقة علم التعبير؟ وما معنى التأويل ؟

الجواب : القرآن والبرهان يدلان على صحته . أما القرآن فهذه الآية ، وأما البرهان فهو أنه قد ثبت أنه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود إلى عالم الأفلاك ، ومطالعة اللوح المحفوظ . والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن وفى وقت النوم يقل هذا التشاغل فتقوى على هذه المطالعة فإذا وقعت الروح على حالة من الأحوال تركت آثارا مخصوصة مناسبة لذلك الإدراك الروحانى إلى عالم الخيال فالمعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك الإدراكات العقلية فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور فى الكتب العقلية . والشريعة مؤكدة له روى عن النبى ﷺ أنه قال ﴿ **الرؤيا ثلاثة : رؤيا ما يحدث به الرجل نفسه ، ورؤيا تحدث من الشيطان ، ورؤيا التى هى الرؤيا الصادقة حقه** ﴾[1] وهذا تقسيم صحيح فى العلوم العقلية .

وقال عليه السلام « **رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة** »[2]

---

(١) رواه مسلم بنحوه فى كتاب الرؤيا . حديث (٦) ٤ / ١٧٧٣ . والترمذى بنحوه فى الرؤيا . أبواب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره ، ما جاء فى رؤيا النبى الميزان والدلو . ٩ / ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٥٠ .

وابن ماجه بنحوه فى كتاب تعبير الرؤيا . باب الرؤيا ثلاث حديث ٣٩٠٦ ، ٣٩٠٧ .

(٢) رواه البخارى فى التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة بلفظ « رؤيا المؤمن ، الرؤيا الصالحة » وفى باب رؤيا الصالحين بلفظ « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » ٤ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ . ومسلم بنفس اللفظ فى كتاب الرؤيا حديث (٨) وبألفاظ أخرى حديث ٧ ، ٨ ، ٩ . ٤ / ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ .

كما رواه أبو داود والترمذى والنسائى و ابن ماجه والدارمى ومالك فى الموطأ وأحمد فى المسند .

ومعنى التأويل : تأويل الشيء ما يرجع إليه وهو الذى يؤول إليه آخر ذلك الأمر .

السؤال الثالث والعشرون : ـ كيف يعقل عصر الخمر ؟

الجواب : فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون المعنى أعصر عنب خمر أى العنب الذى يكون عصيره خمرا فحذف المضاف الثانى : أن العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول إليه إذا انكشف المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ دبسا[1] وهو يطبخ عصيرا والثالث قال أبو صالح : أهل عمان يسمون العنب بالخمر فوقعت هذه اللفظة إلى أهل مكة فنطقوا بها قال الضحاك : نزل القرآن بألسنة جميع العرب .

السؤال الرابع والعشرون : ما المراد من قوله ﴿ إِنَّا نَرَاكَ من الْمُحْسِنِين ﴾[2] الجواب من وجوه : **الأول** معناه إنا نراك تؤثر الإحسان وتأتى بمكارم الأخلاق وجميع الأفعال الحميدة . قيل إنه كان يعود مرضاهم ، ويؤنس حزينهم فقالوا إنك من المحسنين أى فى حق الشركاء والأصحاب ، وقيل : إنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا إنك من المحسنين فى أمر الدين ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله فى تعبير الرؤيا وفى سائر الأمور وقيل المراد ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين ﴾ فى علم التعبير وذلك لأنه متى عبر لم يخط كما قال ﴿ وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾[3] .

السؤال الخامس والعشرون : ـ **ما الفائدة من قوله ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ﴾**[4] ولما كان نبيا فكيف قالها والنبى لابد وان يكون مختصا بشريعة نفسه ؟

---

(١) الدبس : ما يسيل من الرطب (مختار الصحاح)
(٢) ٣٦ يوسف (٣) ١٠١ يوسف
(٤) ٣٨ يوسف .

الجواب : أنه عليه السلام لما ادعى النبوة وتحدى بالمعجزة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة، وأن أباه وجده وجد أبيه كانوا أنبياء الله ورسله فإن الإنسان متى ادعى حرفة أبيه وجده لم يستبعد ذلك منه ، وأيضا فكما أن درجة ابراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب كان أمرا مشهورا فى الدنيا فإذا ظهر أنه ولدهم عظموه ونظروا إليه بعين الإجلال فكان انقيادهم له أتم وتأثر قلوبهم بكلامه أكمل ومراده بالاتباع التوحيد الذى لم يتغير وأيضا لعله كان رسولا من عند الله إلا أنه كان على شريعة إبراهيم عليه السلام .

السؤال السادس والعشرون : - ﴿ **أأَرْبَابٌ متفرِقُونَ خَيْرُ أم الله الوَاحِدُ القهَّارُ** ﴾ لم سماها أربابا وليست كذلك ؟

والجواب : لاعتقادهم فيها أنها كذلك وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير : والمعنى أنها إن كانت أربابا فهى خير أم الله الواحد القهار » ومن السؤالات ننتقل إلى المسائل :

المسألة السابعة : - ﴿ **وقَالَت هَيْتَ لكَ**)[1] قال الواحدى هيت لك اسم للفعل ومعناه هلم فى قول جميع أهل اللغة وهى مفتوحة الهاء والتاء ويجوز كسر التاء ورفعها وهيت لك بالعبرانية هيالح أى تعال عربه القرآن وقال الفراء أنها لغة لأهل حوران سقطت إلى بكة فتكلموا بها .

المسألة الثامنة : ﴿ **قدْ شغَفَهَا حبُاً** ﴾[2] الشغاف فيه وجوه : -

الأول : - أن الشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب فقوله ﴿ شغَفَهاَ حُباً) أى دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب

والثانى : - أن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ماسوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا إياه **الثالث** قال الزجاج الشغاف حبة القلب وسويداء القلب والمعنى أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم .

---

(١) الآية ٢٣ - يوسف (٢) الآية ٣٠ يوسف

المسألة التاسعة : ﴿ **فَلَمَّا سمعَتْ بمكْرهِنَّ أرْسَلَتْ إليْهِنَّ وأعْتَدَتْ لَهُنَّ متَّكَئا** ﴾[1] .

المراد أنها سمعت قولهن وإنما سمى قولهن مكرا لوجوه . **الأول** : - أن النسوة إنما ذكرت ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر إلى وجهه لأنهن عرفن أنهن إذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن . **الثانى** : - أن امرأة العزيز أسرت إليهن حبها ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر ، فلما أظهرن السر كان ذلك غدرا ومكرا **الثالث** أنهن وقعن فى غيبتها والغيبة تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر .

المسألة العاشرة : - ﴿ **إنِّى تَرَكْتُ ملَّةَ قوْمٍ لايُؤْمِنُون بالله وهُمْ بالآخرَة هُمْ كافرِوُن** ﴾[2] توُهم أنه عليه السلام كان فى هذه الملة فنقول جوابه من وجوه : **الأول** : أن الترك عبارة عن عدم العرض للشىء وليس من شرطه أن يكون قد كان خائضا فيه . **الثانى** : - وهو الأصح أن يقال إنه عليه السلام كان عبدا لهم بحسب زعمهم واعتقادهم **الفاسد** ، ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والإيمان خوفا منهم على سبيل التُّقية ثم إنه أظهره فى هذا الوقت فكان هذا جاريا مجرى ترك ملة أولئك الكفرة بحسب الظاهر .

المسألة الحادية عشرة : - ﴿ **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَان ذكْر ربِّهَ** ﴾[3] الشيطان يمكنه إلقاء الوسوسة وأما النسيان فلا ، لأنه عبارة عن إزالة العلم عن القلب ، والشيطان لا قدرة له عليه وإلا لكان قد أزال معرفة الله تعالى عن قلوب بنى آدم . وجوابه : أنه يمكنه من حيث إنه بوسوسته يدعو إلى سائر الأعمال واشتغال الإنسان بسائر الأعمال يمنعه عن استحضار ذلك العلم وتلك المعرفة .

المسألة الثانية عشرة : ﴿ **فاسْأَلهُ مابَالُ النِّسْوَة اللاَّتى قطَّعْنَ أَيديَهنُ** ﴾[4] اعلم أن هذه الآية فيها أنواع من اللطائف : **أولها** : أن

(١) ٣١ يوسف (٢) ٣٧ - يوسف
(٣) ٤٢ - يوسف (٤) ٥٠ يوسف

معنى الآية : فسل الملك بأن يسأل ما شأن تلك النسوة وما حالهن ليعلم براءتى عن تلك التهمة . إلاّ أنه اقتصر على أن يسأل الملك عن تلك الواقعة لئلا يشتمل اللفظ على ما يجرى أمر الملك بعمل أو فعل **وثانيها** : أنه لم يذكر سيدته مع أنها هى التى سعت فى إلقائه فى السجن الطويل بل اقتصر على ذكر سائر النسوة **وثالثها** أن الظاهر أن أولئك النسوة نسبنه إلى عمل قبيح وفعل شنيع عند الملك ، فاقتصر يوسف على مجرد قوله ﴿ **مَابَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أَيديَهُنَّ** ﴾ وما شكا منهن على سبيل التعيين والتفصيل ، ثم قال بعد ذلك ﴿ **إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ وفى المراد من قوله ﴿ **إِنَّ رَبِّى** ﴾ وجهان : **الأول** أنه هو الله تعالى ، لأنه تعالى هو العالم بخفيات الأمور ، **والثانى** أن المراد الملك وجعله ربا لنفسه لكونه مربيا له وفيه إشارة إلى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن .

المسألة الثالثة عشرة : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾[1] اختلف الحكماء فى أن النفس الأمارة بالسوء ماهى ؟ والمحققون قالوا إن النفس الإنسانية شىء واحد ولها صفات كثيرة : فإذا مالت إلى العالم الإلهى كانت نفسا مطمئنة ، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أمارة بالسوء وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة . والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه ، فذلك لا يحصل إلا نادرا فى حق الواحد وذلك الواحد فإنما يحصل له ذلك التجرد والانكشاف طول عمره فى الأوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها إلى العالم الجسدانى ، وكان ميلها إلى الصعود إلى العالم الأعلى نادرا لا جرم حكم عليها بكونها أمارة بالسوء ، ومن الناس من زعم أن النفس المطمئنة هى النفس العقلية النطقية ، وأما النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية .

---

(١) ٥٣ يوسف

المسألة الرابعة عشرة : - ﴿ إلاَّ مارَحِمَ ربِّ ﴾[1] تمسك أصحابنا[2] فى أن الطاعة والإيمان لا يحصلان إلا من الله بهذه الآية : قالوا دلت الآية على أن انصراف النفس من الشر لايكون إلا برحمته ولفظ الآية مشعر بأنه متى حصلت تلك الرحمة حصل ذلك الانصراف فنقول : لا يمكن تفسير هذه الرحمة بإعطاء العقل والقدرة والإلطاف كما قاله القاضى لأن كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب تفسيرها بشيء آخر وهو ترجيح داعية الطاعة على داعية المعصية وقد أثبتنا ذلك أيضا بالبرهان القاطع وحينئذ يحصل منه المطلوب لأن ما بمعنى من والتقدير من رحم ربى وما ومن كل واحد منهما يقوم مقام الآخر والمعنى ما رحم إلا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة أو إلا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت إلا فى وقت العصمة .

---

(١) ٥٣ يوسف (٢) أى أهل السنة

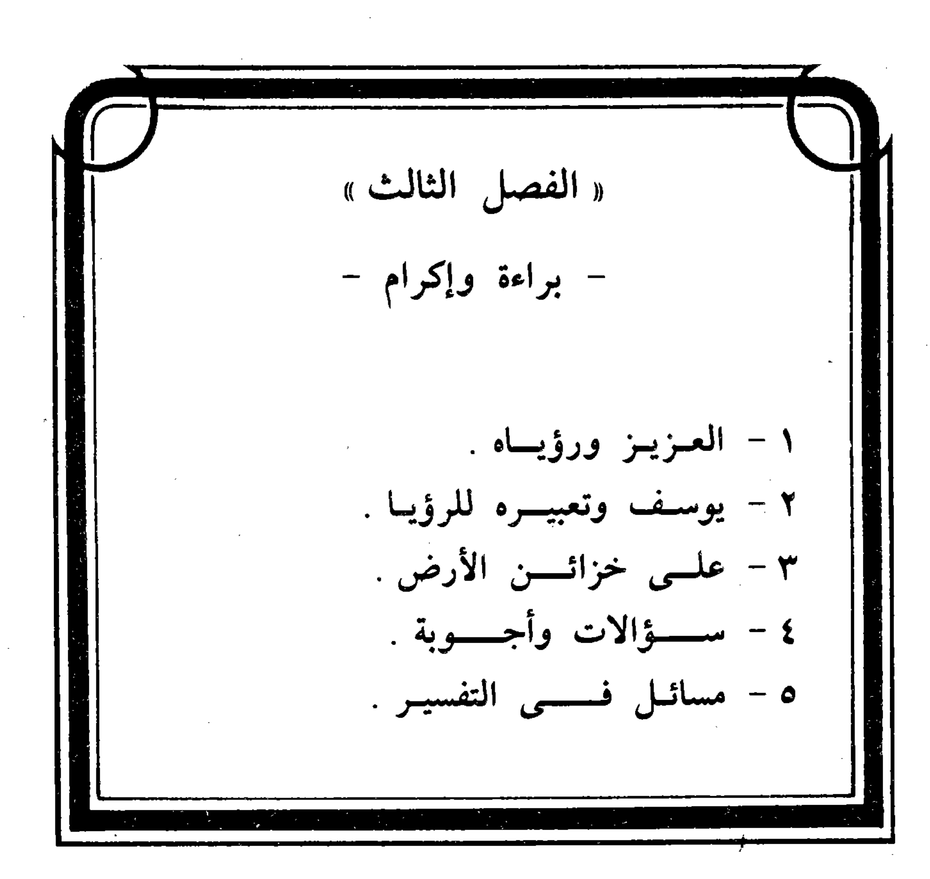

« الفصل الثالث »

- براءة وإكرام -

١ - العزيز ورؤياه .
٢ - يوسف وتعبيره للرؤيا .
٣ - على خزائن الأرض .
٤ - سؤالات وأجوبة .
٥ - مسائل في التفسير .

العزيز ورؤياه : -

رأى العزيز أن سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعت البقرات فى روضة ، ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة . ثم استيقظ من نومه ثم عاد إلى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحدة ، وإذا سبع يابسات خلفها قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها فجمع الكهنة وذكرها لهم . فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلا نقدر على تأويلها وتعبيرها . فى ذلك الوقت انتبه الناجى من السجن وقال : إن فى الحبس رجلا صالحا فاضلا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز منامين فذكر تأويلهما فصدق فى الكل وما أخطأ فى حرف فإن أذنت مضيت إليه وجئتك بالجواب ﴿ **وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ** ﴾[1]

يوسف ورؤيا العزيز : -

فلما التقى بيوسف قال له ﴿ **أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ** ﴾[2] فأخبره يوسف بتأويل ذلك . وهو أن مصر يأتى عليها سبع سنين تجود الأرض فيها بالغلات الوافرة ، ثم سبع سنين مجدبة تأتى على المخزون من السنين السبع المتقدمة ، ثم بعد ذلك تأتى أعوام الخصب والرغد ، وأن عليهم أن يقتصدوا فى سنى الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت فى سنبله حتى إذا حل الجدب وجدوا فى مخازنهم ما يسد الرمق إلى أن يأتى الخصب . رجع ساقى الملك وأخبره بما قال يوسف فاستحسن تعبيره وقال ائتونى به : وهذا يدل على فضيلة العلم فإنه سبحانه جعل علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن

---

(١) ٤٥ يوسف (٢) ٤٦ يوسف .

الأخروية فعاد ساقى الملك إلىٰ يوسف وقال أجب الملك فأبى يوسف أن يخرج من السجن إلا بعد أن ينكشف أمره وتزول التهمة بالكلية عنه،وعن النبى ﷺ « **عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترطت أن يخرجونى ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال** ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ **ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر**[1] » .

اعتراف بالمراودة : -

استحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليغفل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلا إليكن ؟ فأجبنه تنزه الله عن أن يكون نسى عبده حتى تلوث طهره فما لمسنا فيه شيئا يشين ، وحينئذ اندفعت زوجة العزيز لتقول : الآن وضح الحق وظهر أنا التى حاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين ردَّ التهمة على ونسبها إلى ، إنى لم أستغل غيبته فى السجن ، وأتمادى فى الخيانة لأن الله لا ينجح كيد الخائنين وما أدعى عصمة نفسى من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين السوء والشر إلا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء وإنى لأطمع فى رحمة الله وغفرانه لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين .

يقول الشهيد سيد قطب عليه الرحمة : من هذا نعلم شيئا مما دار فى حفل الاستقبال فى بيت العزيز ، وما قالته النسوة ليوسف وما أشرن إليه من الإغراء الذى يبلغ درجة المراودة ، ومن هذا نتخيل صورة لهذه الأوساط ونسائها حتى فى ذلك العهد الموغل فى التاريخ فالجاهلية دائما هى الجاهلية . إنه حيثما كان الترف وكانت القصور

(١) انظر تفسير ابن كثير حيث قال : هنا حديث مرسل ٢/ ٤٨١ .

والحاشية كان التحلل والتميع والفجور الناعم الذى يرتدى ثياب الارستقراطية .

يقول الفخر الرازى : -

اعلم أنه تعالى إذا أراد شيئا هيأ له أسبابا ، لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر رؤيا البقرات والسنابل فاستولى الناقص الضعيف على الكامل فشهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد ، وأنه مُنذر بنوع من أنواع الشر ولذا قلق واضطرب . .

ومن الآيات نتوقف ليجيبنا على التساؤلات :

السؤال السابع والعشرون : - لم قال ﴿ **فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ** ﴾[1] ؟
والجواب : أن بقاء الحب فى السنابل حتى لا يفسد ولا يقع السوس فيه . لأن إبقاء الحبة فى سنبله يوجب بقاءها على الصلاح .[2]

السؤال الثامن والعشرون : - لماذا لم يسارع يوسف بالخروج من السجن وطلب أن يتفحص الملك عن حاله ؟

والجواب : - يأتى من وجوه :

الأول أنه لو خرج فى الحال فربما كان يبقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثرها ، فلما التمس من الملك أن يتفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوسل بها إلى الطعن فيه .

الثانى : أن الإنسان الذى بقى فى السجن اثنتى عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر بالخروج فحيث لم يخرج عرف منه كونه فى نهاية العقل والصبر والثبات وذلك يصير سببا لأن يعتقد

(١) ٤٧ يوسف .
(٢) يتفق هذا مع ما وصل إليه العلم من أن ترك الحب فى سنابله عند تخزينه وقاية له من التلف مع بقاء الغذاء .

فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم ولأن يحكم بأن كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتانا .

الثالث : - أن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من تلك النسوة يدل أيضا على شدة طهارته إذ لو كان ملوثا بوجه ما لكان خائفا أن يذكر ما سبق .

السؤال التاسع والعشرون : - على لسان من جاء قول الله ﴿ **وَمَا أُبَرِّىُء نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَارَحِمَ رَبِّى إنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[1] الجواب تفسير هذه الآية يختلف بحسب اختلاف ما قبلها لأنا إن قلنا إن قوله ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَم أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ** ﴾[2] كلام يوسف كان هذا أيضا من كلام يوسف ، وإن قلنا إن ذلك من تمام كلام المرأة كان هذا أيضا كذلك " أى من تمام كلامها " أ هـ .

يقول صاحب " صفوة التفاسير " الأظهر أن هذا من كلام يوسف قاله لما وصله براءة النسوة له والمعنى : ذلك الأمر الذى فعلته من رد الرسول حتى تظهر براءتى ليعلم العزيز أنى لم أخنه فى زوجته فى غيبته بل تعففت عنها ، ولا أزكى نفسى ولاأنزهها فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات " قاله يوسف على وجه التواضع "

وفى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم : - أن هذا من كلام زوجة العزيز حيث قالت " هذا اعتراف منى بالحق أقدمه ليستيقن يوسف أنى لم أستغل غيبته فى السجن وأتمادى فى الخيانة وأعول على تثبيت اتهامه لأن الله لا ينجح تدبير الخائنين "

ويقول صاحب قصص الأنبياء : -[3]

يجعل بعض المفسرين قوله تعالى ﴿ **وَمَا أُبَرِئُء نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ**

---

(١) ٥٣ يوسف (٢) ٥٢ يوسف .

(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار - رحمه الله صـ١٣٠

﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَارَحِمَ رَبِّى﴾ من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبيان ذلك وإنما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر و يوسف فى السجن قبل أن يقول الملك ﴿ائْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفسى﴾[1] أ هـ .

ويقول : صاحب " فى ظلال القرآن " إنها امرأة أَحَبَّت ، امرأة تُكبِر الرجل الذى تعلقت به فى جاهليتها وإسلامها ، فهى لا تملك إلا أن تظل معلقة بكلمة منه ، أو خاطرة ارتياح تحس أنها صدرت عنه : ﴿ذَلِكَ لِيَعلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنهُ بِالغَيبِ﴾ ذلك حرصها على أن يحترمها الرجل المؤمن الذى لم يعبأ بفتنتها الجسدية أن يحترمها تقديرا لإيمانها ولصدقها وأمانتها فى عفة عند غيبته تلك المحاولة والعودة إلى الفضيلة التى يحبها يوسف ويقدرها . ثم تمضى فى هذه المشاعر الطيبة ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَارَحِمَ رَبِّى﴾[2] .

على خزائن الأرض : -

لما ظهرت براءة يوسف للملك بهذه الصورة الواضحة والبرهان القاطع ، قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، وحينئذ رأى يوسف أنه لا علة له ، فجاء إلى الملك وكلمه ، فانشرح صدر الملك له وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا ، وسأله عن العمل الذى يرتضيه لنفسه ويكون فيه راحته وهدوء باله وانشراح صدره فقال يوسف : ﴿اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾[3] وما يخرج منها من الغلات والخيرات ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وقبل الملك عرضه ، فاستوزره وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جليلة فجعل له سلطانا وقدرة فى أرض - مصر - ينزل منها بأى مكان يريد وهذا شأن الله فى

---

(١) الآية ٥٤ يوسف .   ٢) فى ظلال القرآن جـ٤ صـ١٩٩٥ — ١٩٩٦ .
(٣) ٥٥ يوسف .

عباده يهب نعمته لمن يختاره منهم ويجازيهم على الإحسان فى الدنيا وثواب الآخرة أفضل وأوفى . .

مع الإمام فخر الدين الرازى : - يقول الإمام : -

روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام : قم إلى الملك متنظفا من درن السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن " هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء" ولما دخل عليه قال : (اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره) ثم دخل وسلم وانفرد به الملك وسهل الله ليوسف المنزلة وجلس على السرير ولبس الخاتم ورفض التاج لأنه لا يرتديه الأنبياء وعزل الملك العزيز إلى أن مات وتزوج يوسف امرأته وقال لها : - " أليس هذا خيراً مما طلبت " وولدت له ولدين وأقام العدل وأسلم على يديه المَلِك وكثير من الناس وردَ الأملاك لأهل مصر هكذا رواه صاحب الكشاف . والله أعلم . ونتساءل :

السؤال الثلاثون : - لم طلب يوسف الإمارة والنبى عليه السلام قال لعبد الرحمن بن سمرة " لا تسأل الإمارة "[1] ؟ وأيضا فكيف طلب الإمارة من كافر ؟ وأيضا لِمَ لَمْ يصبر مدة ؟ ولم أظهر الرغبة فى طلب الإمارة فى الحال ؟ وأيضا طلب أمر الخزائن فى أول الأمر مع أن هذا يورث نوع تهمة ؟ وأيضا كيف جوز من نفسه مدح نفسه مع أنه تعالى يقول : ﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[2] وأيضا فما الفائدة فى قوله

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأحكام بابى من لم يسأل الإمارة أعانه الله ومن سأل الإمارة وكل إليها ٤/٢٣٤ . وفى كتاب الأيمان والنذور . باب قول الله تعالى ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم** . . . . ﴾ ٤/١٤٧ . وفى الكفارات . باب الكفارة قبل الحنث وبعده ٤/١٦٣ . ومسلم فى الإمارة . باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها حديث ١٣ . وفى الأيمان . باب ندب من حلف يمينا . . . حديث ١٩ كما رواه أبو داودوالترمذى والنسائى والدارمى وأحمد بن حنبل . (٢) ٣٢ النجم .

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ وأيضا لم ترك الاستثناء فى هذا فإن الأحسن أن يقول : إنى حفيظ عليم إن شاء الله بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[1] فهذه أسئلة سبعة لابد من جوابها . فنقول الأصل فى جواب هذه المسائل أن التصرف فى أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأى طريق كان إنما قلنا : إن ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه :

الأول : أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق ، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان .

والثانى : وهو أنه عليه السلام علم بالوحى أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذى ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلعله تعالى أمره بأن يدبر فى ذلك ويأتى بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط فى حق الخلق

والثالث : أن السعى فى إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن فى العقول .

وإذ ثبت هذا فنقول : إنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه ، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فكان هذا الطريق واجبا عليه ، ولما كان واجبا سقطت الأسئلة بالكلية وأما ترك الاستثناء فقال الواحدى : كان ذلك من خطيئة ، أوجبت عقوبة وهى : أنه تعالى أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة.روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال " رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة "[2] وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية الى الله تعالى أولى .

---

(١) ٢٣ ، ٢٤ الكهف .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى ١٨/١٦٤ .

وأقول[١] : لعل السبب فيه أنه لو ذكر هذا الاستثناء . لاعتقد فيه الملك أنه إنما ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغى فلأجل هذا المعنى ترك الاستثناء ، وأما قوله : لم مدح نفسه فجوابه من وجوه :

الأول لانسلم أنه مدح نفسه لكنه بين كونه موصوفا بهاتين الصفتين النافعتين فى حصول هذا المطلوب وبين البابين فرق وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف لأن الملك وإن علم كماله فى علوم الدين لكنه ما كان عالما بأنه يفى بهذا الأمر ، ثم نقول : هب أنه مدح نفسه إلا أن مدح النفس إنما يكون مذموما إذا قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل فأما على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محرم فقوله تعالى ﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ المراد منه تزكية النفس حال ما ٠علم كونها غير متزكية والدليل عليه قوله تعالى ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾[٢] أما إذا كان الإنسان عالما بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه والله أعلم .

قوله ما الفائدة فى وصفه نفسه بأنه حفيظ عليم ؟ قلنا : إنه جار مجرى أن يقول : حفيظ بجميع الوجوه التى منها يمكن تحصيل الدخل والمال ، عليم بالجهات التى تصلح لأن يصرف المال إليها ، ويقال : حفيظ بجميع مصالح الناس عليم بجهات حاجاتهم أو يقال : حفيظ لوجوه أياديك وكرمك ، عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذا باب واسع يمكن تكثيره لمن أراده .

المسألة الخامسة عشرة : - ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] اعلم أن يوسف عليه السلام لما التمس من الملك أن

(١) أى الفخر الرازى .
(٢) ٣٢ النجم .
(٣) ٥٦ - يوسف .

يجعله على خزائن الأرض لم يحك الله عن الملك أنه قال : قد فعلت ، بل الله سبحانه قال ﴿ وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فها هنا المفسرون قالوا فى الكلام محذوف وتقديره : قال الملك قد فعلت ، إلا أن تمكين الله له فى الأرض يدل على أن الملك قد أجابه إلى ما سأل وأقول : ما قالوه حسن إلا أن ها هنا ما هو أحسن منه وهو أن إجابة الملك له سبب فى عالم الظاهر . وأما المؤثر الحقيقى فليس إلا أنه تعالى مكنه فى الأرض وذلك لأن ذلك الملك كان متمكنا من القبول ومن الرد ، فنسبة قدرته إلى القبول وإلى الرد على التساوى ، ومادام يبقى هذا التساوى فلا بد وأن يترجح القبول على الرد فى خاطر ذلك الملك وذلك الترجح لا يكون إلا بمرجح يخلقه الله تعالى ، وإذا خلق الله تعالى ذلك المرجح حصل القبول لا محالة ، فالتمكين ليوسف فى الأرض ليس إلا من خلق الله تعالى فى قلب ذلك الملك بمجموع القدرة والداعية الجازمة اللتين عند حصولهما يجب الأثر فلهذا السبب ترك الله تعالى ذكر إجابة الملك ، واقتصر على ذكر التمكين الإلهى لأن المؤثر الحقيقى ليس إلا هو .

المسألة السادسة عشرة : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] فى تفسير هذه الآية قولان : -

القول الأول : -- المراد منه أن يوسف عليه السلام وإن كان قد وصل إلى المنازل العالية والدرجات الرفيعة فى الدنيا إلا أن الثواب الذى أعده الله له فى الآخرة خير وأفضل وأكمل ، وجهات الترجيح قد ذكرت مرارا وأطوارا وحاصل تلك الوجوه أن الخير المطلق هو الذى يكون نفعا دائما مقروناً بالتعظيم ، وكل هذه القيود الأربعة حاصلة فى خيرات الآخرة ومفقودة فى خيرات الدنيا .

(١) ٥٧ - يوسف .

القول الثانى : - أن لفظ الخير قد يستعمل لكون أحد الخيرين أفضل من الآخر كما يقال الجلاب خير من الماء ، وقد يستعمل لبيان كونه فى نفسه خيرا من غير أن يكون المراد منه بيان التفضيل كما يقال . الثريد خير من الله . يعنى الثريد خير من الخيرات حصل بإحسان من الله .

إذا ثبت هذا فقوله ﴿ **وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ** ﴾ إن حملناه على الوجه الأول لزم أن تكون ملاذ الدنيا موصوفة بالخيرية أيضا ، وأما إن حملناه على الوجه الثانى لزم أن لا يقال إن منافع الدنيا أيضا خيرات . بل لعله يفيد أن خير الآخرة هو الخير ، وأما ما سواه فعبث .

المسألة السابعة عشرة : - ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾[1] قال بعضهم ليس المراد منه ها هنا الكذب والاحتيال كما فى قوله فى واقعة يوسف حين قال ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ لكنه عنى سولت لكم أنفسكم إخراج بنيامين عنى والمصير به إلى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألحتم على فى إرساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله إنما جاء على خلاف تقديركم وقيل : بل المعنى سولت لكم أنفسكم أمرا خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق .

وبهذا علم أن يعقوب عليه السلام لما سمع من أبنائه هذا الكلام لم يصدقهم فيما ذكروا كما فى واقعة يوسف فقال ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾[2] فذكر هذا الكلام بعينه فى هذه الواقعة إلا

---

(١)، (٢) ٨٣ - سورة يوسف .

أنه قال في واقعة يوسف عليه السلام ﴿ واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[1] وقال ها هنا ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[2] .

(١) ١٨ - يوسف (٢) ٨٣ - يوسف .

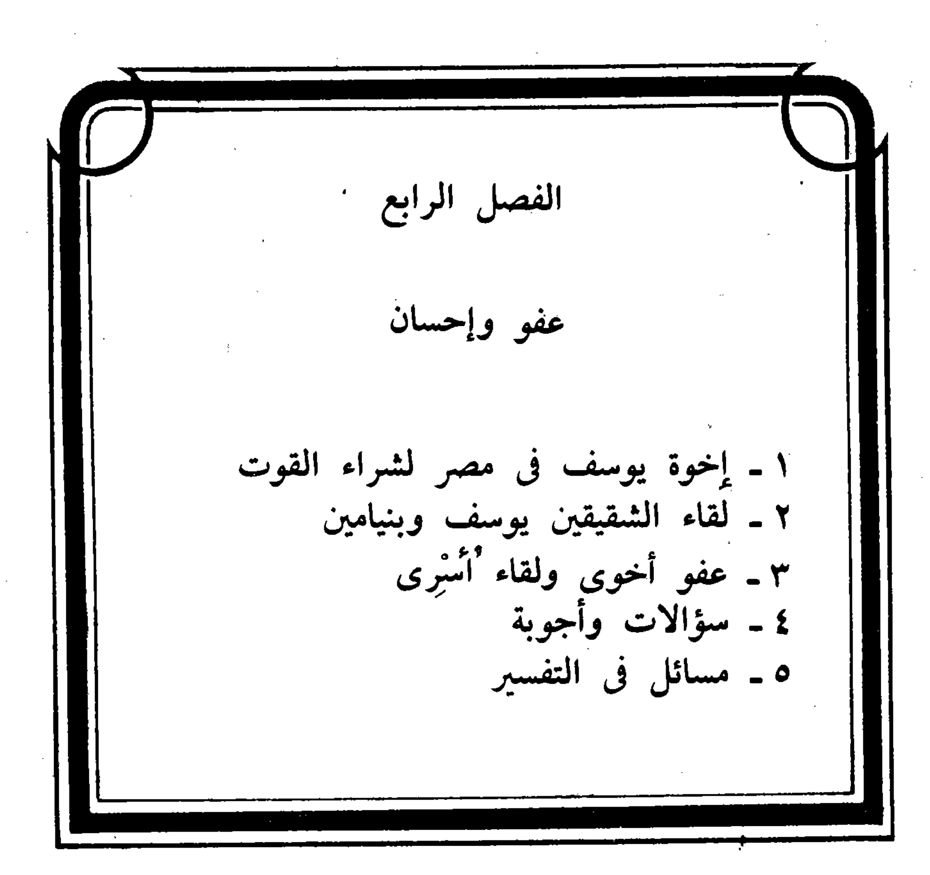

الفصل الرابع

عفو وإحسان

١ ـ إخوة يوسف فى مصر لشراء القوت
٢ ـ لقاء الشقيقين يوسف وبنيامين
٣ ـ عفو أخوى ولقاء أُسْرِى
٤ ـ سؤالات وأجوبة
٥ ـ مسائل فى التفسير

إخوة يوسف فى مصر لشراء القوت :ـ

مرت السنوات السبع ذات الخصب ، وأعد يوسف العدة وخزن الغلات ثم جاءت السنوات المجدبة واشتد الجدب فى كل أنحاء وجهات الأرض ، أما المصريون فذهبوا إلى ملكهم الذى بعث بهم إلى يوسف عليه السلام ففتح المخازن وباع لهم من الطعام مايكفيهم وأحس أهل فلسطين الجوع فذهبوا إلى مصر وذهب أبناء يعقوب ومعهم الإبل والحمير لحمل الطعام بعد شرائه .

فلما وصلوا رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه لأنه ناهز الأربعين من عمره ، وأصبح فى مكان مهاب . أما هم فعلى حالهم من ملبس ولغة ومنظر لما جهزهم بما اشتروا من طعام طلب منهم أن يحضروا أخالهم من أبيهم إن هم عادوا وإلا فلاكيل لكم عندى ولاتأتوا إلىَّ وذلك لأنه لم ير أخاه بنيامين معهم وهو أصغر منه فأخذ يستدرجهم إلى أن عرف أنه حى وأنه عند أبيه فأعطاهم الطعام بلا ثمن فى الواقع ليأتوه بأخيه دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن فقالوا له : سنراود عنه أباه وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم فإنهم يعودون بها إلينا لأنهم لايقبلون ماليس لهم وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا إليه **بأخيهم** ليراه ويستبقيه معه وصدق الله **﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأمْرِهِم هَذَا وَهُمْ لاَيَشْعُرونَ ﴾**(1)

مع الإمام الرازى :ـ يستوقفنا الإمام الرازى لنتساءل فى هذا الموقف حيث الخوف وشدة الحاجة منهم ومهابة الملك عليه

السؤال الحادى والثلاثون :

هناك مقدمات كانت سببا لسؤال يوسف عن حال أخيهم وطلب حضوره فما تلك المقدمات ؟

(1) الآية ١٥ ـ يوسف

الجواب : ذكروا فيه وجوها : ـ

الوجه الأول . وهو أحسنها إن عادة يوسف عليه السلام

مع الكل أن يعطيه حمل بعير لا يزيد عليه ولا ينقص وإخوة يوسف الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا إن لنا أبا شيخا كبيرا وأخا آخر بقى معه لخدمته ولابد لهما أيضا من شيء من الطعام فجهز لهما أيضا بعيرين آخرين من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على أن حب أبيكم له أزيد من حبه لكم وهذا شيء عجيب لأنكم مع جمالكم وعقلكم وأدبكم إذا كانت محبة أبيكم لذلك الأخ أكثر من محبته لكم دل هذا على أن ذلك أعجوبة فى العقل وفى الفضل والأدب فجيئونى به حتى أراه . فهذا السبب محتمل مناسب .

والوجه الثانى :ـ أنهم لما دخلوا عليه وأعطاهم الطعام قال لهم : من أنتم؟قالوا :

نحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجَهد فجئنا نمتار[1] فقال : لعلكم جئتم عيونا فقالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد شيخ صديق نبى اسمه "يعقوب" : قال : كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد وبقى واحد مع الأب يتسلى به عن ذلك الذى هلك ونحن عشرة وقد جئناك قال : فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخ لكم من أبيكم ليبلغ إلى رسالة أبيكم فعند هذا أقرعوا بينهم فأصابت القرعة (شمعون) وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده .

الوجه الثالث : لعلهم لما ذكروا أباهم قال يوسف : فلم تركتموه وحيدا فريدا ؟ قالوا ماتركناه وحيدا بل بقى عنده واحدا فقال لهم لم استخلصه لنفسه ولم خصه بهذا المعنى لأجل نقص فى جسده ؟ فقالوا : لا بل لأجل أنه يحبه أكثر من محبته لسائر الأولاد فعند هذا

(١) يقال ماره يميره ميرا : إذا أتاه بميرة أى بطعام .

قال يوسف لما ذكرتم أن أباكم رجل عالم حكيم بعيد عن المجازفة ثم إنه خصه بمزيد المحبة وجب أن يكون زائدا عليكم فى الفضل وصفات الكمال مع أنى أراكم فضلاء علماء حكماء فاشتاقت نفسى إلى رؤية ذلك الأخ فائتونى به والسبب الثانى ذكره المفسرون والأول والثالث محتمل والله أعلم .

السؤال الثانى والثلاثون :ـ ما السبب الذى لأجله أمر يوسف بوضع بضاعتهم فى رحالهم ؟

الجواب :ـ اختلفوا فى السبب على وجوه :ـ

الأول :ـ أنهم متى فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك كان كرما من يوسف وسخاء محضا فيبعثهم ذلك على العود إليه والحرص على معاملته .

الثانى : خاف أن لايكون عند أبيه من المال مايرجعون به مرة أخرى

الثالث : أراد به التوسعة على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط

الرابع : رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع شدة حاجتهم إلى الطعام لؤم .

الخامس : قال الفراء إنهم متى شاهدوا بضاعتهم فى رحالهم وقع فى قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة فى رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء أولاد أنبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه .

السادس : أراد أن يحسن إليهم على وجه لايلحقهم به عيب ولامنة

السابع : مقصوده أن يعرفوا أنه لايطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم ولا لطلب زيادة فى الثمن .

الثامن : أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه .

التاسع : أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك الدراهم فى رحالهم حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم

العاشر : أراد أن يقابل مبالغتهم فى الإساءة بمبالغة فى الإحسان إليهم والآيات فى هذا الموقف هى :

﴿ وجَاءَ إخْوَةُ يوسُفَ فدخَلوَا عليْه فعَرفَهُم وهُمْ لهُ منكِرُونَ . ولما جهَّزَهمُ بجهَازِهِم قال ائْتُونِى بأخ لكَمُ من أَبِيكُم ألا تَرَوْن أنىِّ أُوفى الكَيْلَ وأنا خَير المنزِلِينَ . فإن لَمْ تأتونى بهِ فلا كُيْلَ لكُم عندِى ولاتقربُون قالوا سَنرَاوِدُ عنه أبَاهُ وإنا لفَاعِلونَ وقال لفِتيانِه اجعَلوا بِضَاعتَهم فى رِحَالِهم لعلهمُ يعرِفوُنها إذا انقلبُوا إلى أهِلهِمْ لعلهمُ يرجعِوُن ﴾[1] ،

لقاء الشقيقين يوسف وبنيامين : ـ

عاد إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه أن « وزير التموين والتجارة » رفض البيع لهم فيها بعد حتى يحضروا إليه أخاهم لأبيهم حينذاك تذكر يعقوب أمرهم مع يوسف وعاودته لوعته وقال لهم ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيه إلا كَما أمْنتكُم عَلَى أَخِيه مِنْ قَبْلُ فا للَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَاحِمِينْ ﴾ لكنهم فتحوا متاعهم فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس فقالوا ياأبانا مانبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا فإذا سمحت لنا بأخينا كان ذلك خيرا نزداد الكيل ونلبى طلب الملك ، فسمح لهم بعد أخذ العهد عليهم بإتيانه إليه إلا إذا غلبوا على أمرهم وأوصاهم لخوفه عليهم من الحسد ـ أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، وعاد الإخوة إلى مصر تاركين أباهم وحيدا فريدا أمر يوسف بتجهيز إخوته فوضع لهم فضتهم فى طعامهم ووضعت الكأس التى كان يشرب بها الملك فى طعام الصغير ـ بنيامين ـ وتلك حيلة لإبقائه معه ـ فلما ساروا غير بعيد ناداهم وكيل يوسف موبِّخاً على سرقتهم سقاية الملك فأظهروا البراءة وقالوا من وجدت فى رحله يؤخذ عبدا للملك فبدأ التفتيش بأكبرهم وانتهى بأصغرهم حيث وجدت عند ـ بنيامين ـ فعادوا إلى يوسف مستعطفين وطلبوا أن يأخذ أحدهم بدلا من بنيامين . فرفض

(١) ٥٨ ـ ٦٢ يوسف

وأمرهم بالعودة فقالوا فى غيظ : ﴿ إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ من قَبْلُ ﴾[1] فسكت يوسف ولم يظهرها لهم وقال لهم أنتم شر مكانا من هذا السارق والله يعلم هذا الوصف الكاذب .

وكانوا يقصدون يوسف وذلك أن أمه ماتت فكفلته عمته فلما أراد أبوه أن يأخذه منها رفضت لتعلقها به ثم صنعت تلك التهمة بأن ألبسته تحت ثيابه منطقة★ لإبراهيم كانت عندها . ثم أظهرت أنها سرقت وبحثت حتى أخرجتها من تحت ثيابه ، وطلبت بقائه عندها يخدمها مدة جزاءً له بما صنع وبهذه الحيلة استبقته عندها وكف أبوه عن المطالبة[2] .عاد أخوة يوسف عدا أكبرهم الذى رفض العودة حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله فى شأنه وأما أصغرهم فهو المتهم بالسرقة وحينما وصلوا إلى أبيهم أخبروه بالأمر على حقيقته لكنه لم يقبل لأنهم دبروا ليوسف مكيدة من قبل فازداد الحزن حتى ابيضت عيناه ، لكنه طلب منهم العودة إلى مصر لشراء طعام وليتحسسوا أمر يوسف وأخيه ، ولاييأسوا من روح الله ، فإن ذلك من شأن الكفار ، فذهبوا كما أمرهم أبوهم ، حيث كان اللقاء بأخيهم . اقرءوا قوله تعالى (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فى رَحْلِ أَخِيهِ . ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِنٌ أَيَتُهاَ الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُون . قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنا بِهِ زَعِيمٌ . قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين . قَالُوا فَمَا جزَاؤَهُ إِنْ كُنْتُم كاذِبِين قالُوا جزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُو جَزَاؤُه كَذَلِك نَجْزِى الظَّالِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيه ثمّ اسْتَخْرَجها مِنْ وعَاء أَخِيه كَذَلكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ما كَانَ لِيأُخُذَ أَخَاهُ فى دِينِ الْملكِ إلاَّ أنَ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[3]

(١) الآية ٧٧ يوسف

(٢) هناك آراء بأنه سرق الأوثان من جده لأمه وكسرها أو سرق من أبيه وأعطى الفقراء والمساكين

(٣) آية ٧٠ ـ ٧٦ يوسف

★ منطقة : كساء يشبه القميص

مع الإمام الرازى : - يستوقفنا الإمام الرازى ليقول : اعلم أن أبناء يعقوب لما عزموا على الخروج من مصر ، وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد قال لهم : ﴿ **لاتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرِّقَة** ﴾[١] وقول جمهور المفسرين أنه خاف من العين عليهم ولنا هاهنا مقامان :

(المقام الأول) إثبات أن العين حق والذى يدل عليه وجوه

الأول : إطباق المتقدمين من المفسرين على ان المراد من هذه الآية ذلك والثانى : ماروى أن رسول الله ﷺ . كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « **أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة** » ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسماعيل وإسحق صلوات الله عليهم[٢]

والثالث : ماروى عبادة بن الصامت قال : دخلت على رسول الله ﷺ فى أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافى فقال « **إن جبريل عليه السلام أتانى فرقانى فقال** » **بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك . قال فأفقت** »[٣] .

---

(١) آية ٦٧ يوسف

(٢) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق . باب يزفّون : النَّسَلَان فى المشى ٢ / ٢٣٩ . وأبو داود فى كتاب السنة . باب فى القرآن حديث ٤٧٣٧ - ٤ / ٢٣٥ . والترمذى فى الطب باب ماجاء فى الرقية من العين وقال : حديث حسن صحيح ٨ / ٢١٥ . وابن ماجه فى كتاب الطب باب ماعوّذ به النبى ﷺ وماعُوِّذ به حديث ٣٥٢٥ - ٢ / ١١٦٤ ، ١١٦٥ . وأحمد فى المسند ١ / ٢٣٦ ، ٢٧٠ .

(٣) رواه أحمد فى المسند بلفظ « دخلت على رسول الله ﷺ أعوده وبه من الوجع مايعلم الله تبارك وتعالى بشدة ثم دخلت عليه من العشى وقد برىء أحسن برء فقلت له : دخلت عليك غدوة وبك من الوجع مايعلم الله بشدة ودخلت عليك العشية وقد برأت فقال : ياابن الصامت إن جبريل عليه السلام رقانى برقية برئت ألا أعلمكها . قلت : بلى قال : بسم الله أُرقيك من كل شىء يؤذيك من حسد كل حاسد وعين بسم الله يشفيك » . ٥ / ٣٢٣ .

والرابع : روى أن بنى جعفر بن أبى طالب غلمانا بيضا فقالت أسماء يارسول الله إن العين إليهم سريعة أفأسترقى لهم من العين قال لها نعم[١]

والخامس : أنّ رسول الله ﷺ قال لجارية فى بيت أم سلمة زوج النبى ﷺ ، رأى بوجهها سفعة فقال : بها نظرة ، فاسترقوا لها »[٢] .

والسادس : قوله عليه السلام « **العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر** »[٣]

والسابع : قالت عائشة رضى الله عنها « **كان يُؤْمَرُ العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعِينُ** »[٤] .

المقام الثانى : فى الكشف عن ماهيته فقد ذكروا فيه وجوها :

الأول : قال الحافظ إنه يمتد من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن فتؤثر فيه كتأثير اللسع والسم والنار وإن كان مخالفا فى جهة التأثير لهذه الأشياء .

الثانى : ـ قال أبو هاشم وأبو القاسم البلخى ؛ إنه لايمتنع أن تكون العين حقا ويكون معناه أن صاحب العين إذا شاهد الشيء وأعجب

---

(١) رواه الترمذى بنحوه فى الطب . باب ماجاء فى الرقية من العين وقال : حديث حسن صحيح ٨ / ٢١٤ . وابن ماجه بنحوه فى كتاب الطب . باب من استرقى من العين حديث(٣٥١٠) ٢ / ١١٦٠ وأحمد فى المسند بنحوه ٦ / ٤٣٨ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب السلام . باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمى والنظرة حديث ٠٥٩ و البخارى بنحوه فى الطب . باب رقيق العين . ٤ / ١٦ . والنسفعة : الصفرة أو السواد فى الوجه .

(٣) رواه الترمذى فى الطب باب ماجاء فى الرقية من العين بلفظ « فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ٨ / ٢١٤ . وباب ماجاء أن العين حق والغسل لها بلفظ « لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا » ٨ / ٢١٦ . وابن ماجه فى كتاب الطب باب العين بلفظ « العين حق » ولفظ « استعيذوا بالله فإن العين حق » حديث ٣٥٠٦ ، ٣٥٠٧ ، ٣٥٠٨ ، وباب من استرقى من العين بلفظ . « فلو كان شيء سابق القدر ، سبقته العين » حديث ٣٥١٠ .

(٤) رواه أبو داود فى كتاب الطب . باب ماجاء فى العين حديث ٣٨٨٠ . ٤ / ٩ .

به استحسانا كان المصلحة له فى تكليفه أن يغير الله ذلك التشخص وذلك حتى لايبقى ذلك المكلف متعلقا به .

الوجه الثالث : وهو قول الحكماء قالوا هذا الكلام مبنى على مقدمة وهى أنه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة أعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا ولايكون للقوى بها تعلق ا ـ هـ مختصرا .

السؤال الثالث والثلاثون : ـ فإن قيل كيف السبيل إلى الجمع بين ﴿ **لَاتَدْخُلُوا** ﴾ . ﴿ **وَمَا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ اَللَّهِ مِنْ شَىْءٍ** ﴾ .

والجواب : أن الإنسان مأمور بأن يراعى الأسباب المعتبرة فى هذا العالم ومأمور أيضا بأن يعتقد ويجزم بأنه لايصل اليه الا ماقدره الله تعالى وأن الحذر لاينجى من القدر لكن لابد من اقامة الطاعات والاحتراز عن المعاصى والسيئات فكذا نأكل ونشرب ونحترز عن السموم وعن الدخول فى النار مع أن الموت والحياة لايحصلان إلا بتقدير الله تعالى « **إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** »[1] .

ولذا صدقه الله فى ذلك « **إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا** »[2] .

السؤال الرابع والثلاثون : ـ فإن قيل هل كان ذلك النداء (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) بأمر يوسف أو ماكان بأمره ؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله أن يتهم أقواما وينسبهم إلى السرقة كذبا وبهتانا . وإن كان الثانى وهو أنه ماكان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة ؟

---

(١) آية ٦٧ يوسف (٢) آية ٦٨ يوسف

قلنا[1] : العلماء ذكروا فى الجواب عنه وجوها :

الأول : أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال له : إنى أريد أن أحبسك هاهنا . ولاسبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضى بأن يقال فى حقه ذلك وعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنبا .

والثانى : أن المراد إنكم لسارقون يوسف من أبيه إلا أنهم ماأظهروا هذا الكلام والمعاريض لاتكون إلا كذلك .

والثالث : أن ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير يخرج أن يكون كذبا .

الرابع : ليس فى القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد إلاهم غلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها .

السؤال الخامس والثلاثون : - فإن قيل فى قوله ﴿ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾[2] هذه كفالة بشيء مجهول ؟

قلنا حمل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت الكفالة به إلا أن هذه كفالة مال لرد سرقة . وهو كفالة بمالم يجب لأنه لا يحل للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم .

السؤال السادس والثلاثون : - فإن قيل لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه ؟

قلنا : قالوا : رجع ضمير المؤنث إلى السقاية وضمير المذكر إلى الصواع (المكيال) أو يقال الصواع يؤنث ويذكر فكل واحد منها جائز أو يقال : لعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده يسمونه صواعا[3] .

---

(١) أى الفخر الرازى .

(٢) ٧٢ يوسف

(٣) كان يشرب فيه ثم استخدم مكيالا

السؤال السابع والثلاثون : - فإن قيل هذه الواقعة من أولها الى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز من يوسف عليه السلام مع رسالته الإقدام على هذا التزوير والترويج وإيذاء الناس من غير سبب لاسيما وهو يعلم أنه إذا حبس أخاه عند نفسه بهذه التهمة فإنه يعظم حزن أبيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة فى التزوير إلى هذا الحد ؟ والجواب : لعله تعالى أمره بذلك تشديدا للمحنة على يعقوب ونهاه عن العفو والصفح وأخذ البدل كما أمر تعالى صاحب موسى بقتل من لوبقى لطغى وكفر .

السؤال الثامن والثلاثون : - فإن قيل : كيف حكموا عليه بأنه سرق من غير بينة . لاسيما وقد أجاب بالجواب الشافى ، فقال الذى جعل الصواع فى رحلى هو الذى جعل البضاعة فى رحلكم . والجواب عنه من وجوه :

الوجه الأول : أنهم شاهدوا أن الصواع كان موضوعا فى موضع ماكان يدخله أحد إلاهم فلما شاهدوا أنهم أخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم أنه هو الذى أخذ الصواع وأما قوله : وضع الصواع فى رحلى من وضع البضاعة فى رحلكم . . فالفرق ظاهر لأن هناك لما رجعوا بالبضاعة إليهم اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها فى رحالهم وأما هذا الصواع فإن أحدا لم يعترف بأنه هو الذى وضع الصواع فى رحله فظهر الفرق فلهذا السبب غلب على ظنونهم أنه سرق فشهدوا بناء على هذا الظن ثم بينهم غير قاطعين بهذا الأمر بقولهم ﴿ **وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ** ﴾[١] .

والوجه الثانى : - فى الجواب أن تقدير الكلام ﴿ **إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ** ﴾ فى قول الملك وأصحابه ومثله فى القرآن كثير ﴿ **إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾[٢] أى عند نفسك وقال تعالى ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾[٣] أى عند نفسك وأما عندنا فلا فكذا هنا .

(١) ٨١ - يوسف

(٢) ٨٧ - هود

(٣) ٤٩ - الدخان

الوجه الثالث : - فى الجواب أن ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشىء يسمى سرقة فإن إطلاق اسم أحد الشبيهين علي الشبيه الآخر جائز فى القرآن قال تعالى ﴿ **وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَة مِثْلهُا** ﴾[1]

الوجه الرابع : أن القوم ماكانوا أنبياء فى ذلك الوقت فلا يبعد أن يقال إنهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة لاسيما وقد شاهدوا شيئا يوهم ذلك .

الوجه الخامس : - أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقرأ ﴿ **إنَّ ابْنَكَ سَرَّقَ** ﴾ بالتشديد أي نسب إلى السرقة فهذه القراءة لا حاجة بها إلى التأويل لأن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن أمثال هذه القراءات لا تدفع السؤال لصحة القراءة الأولى .

فثبت أنه لابد من الرجوع إلى أحد الوجوه المذكورة .

السؤال التاسع والثلاثون : - لماذا عظم حزنه على يوسف عندما غاب (بنيامين) ؟

والجواب : أن الحزن الجديد يقوى الحزن القديم الكامن والقدح إذا وقع على القدح كان أوجع والأسى يبعث الأسى ولأن يوسف وبنيامين كانا من أم واحدة ، ولأن مصيبة يوسف كانت أصل مصائبه التى ترتب عليها سائر المصائب والرزايا وما كان يعلم أنه حى أو ميت فلهذا عظم حزنه على الجهل بحاله أما الباقون فهم أحياء ومنهم - بنيامين .

السؤال الأربعون : - من الجهال من عاب يعقوب على قوله ﴿ **يَا أَسَفَى عَلَى يُوسفَ** ﴾[2] لأن هذا إظهار للجزع وجار مجرى الشكاية من الله وأنه لا يجوز . فما الرد عليهم ؟

العلماء بينوا أنه ليس الأمر كما ظنه هذا الجاهل وتقريره أنه عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ، ثم عظم بكاؤه وهو المراد من قوله

(١) ٤٠ - الشورى

(٢) ٨٤ - يوسف

﴿ وابْيَضَّتْ عَيْنَاه مِنَ الْحُزْن ﴾ ثم أمسك لسانه وهو المراد ﴿ فَهُوَ كَظِيمُ ﴾ ثم أنه ما أظهر الشكاية مع أحد من الخلق بدليل قوله ﴿ إنّما أشكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إلَى اللَّهِ ﴾[1] وكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته فإنه صبر وتجرع **الغصة** فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء العظيم .

وقوله ﴿ يَا أَسَفَى ﴾ نداء الأسف والتقرير كأنه ينادى الأسف ويقول هذا وقت حصولك وأوان مجيئك .
والأسف الحزن على ما فات قال الليث :
إذا جاءك أمر فحزنت له ولم تطقه فأنت أسيف أى حزين ومتأسف أيضا وحينئذ غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء فى العين فتصير كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء ولذا قيل ماعمى لكنه صار بحيث يدرك إدراكا ضعيفا . كما أن الدواعى الإنسانية لا تزول فى الحياة العاجلة فتارة كان يقول ﴿ يَا أَسَفَى ﴾ وتارة كان يقول ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون ﴾[2] ولاشك أن يعقوب كان من أكابر الأنبياء ، وكان أبوه وجده وعمه كلهم من أكابر الأنبياء المشهورين فى جميع الدنيا . ﷺ عليهم أجمعين .

عفو أخوى ولقاء أسرى : -

جاء إخوة يوسف وطلبوا منه أن يتصدق عليهم بإطلاق أخيهم من العبودية بعد وفاء الكيل لأن بضاعتهم قليلة وإن كان الثمن لا يوجب ذلك فقال لهم يوسف مذكرا بما كان منهم ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعلْتُم بيُوسُفَ وأَخِيهِ إذْ أَنْتُمْ جَاهِلُون ﴾[3] فعرفوا أنه يوسف لذلك ﴿ قَالُوا أئِنَّكَ لأَنْتَ يوُسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُف وهَذَا أَخِى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فإنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين . قَالَوا تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وإنْ كُنَّا لخَاطئين قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ

---

(١) يوسف - ٨٦
(٢) يوسف - ١٨
(٣) يوسف - ٨٩

يغفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُو أرْحَمُ الرَّاحِمِين . اذْهَبُوا بِقَمِيصى هَذَا فألْقوهُ عَلَى وَجْه أبِى يَأتِ بَصِيراً وأتُونى بأهْلِكُم أجْمَعِين ﴾[1] فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب تنتظر تغيير الحال وتوقع الفرج بلقاء يوسف ولذا قال لهم ﴿ إنِّى لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أنْ تُفَنِّدُون ﴾[2] .

فردوا عليه قائلين ﴿ تَاللَّهِ إنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيم ﴾[3] ولم يطل وقت الانتظار وإذا بالبشير يأتي بسلامة يوسف وبنيامين ويلقى القميص على وجه الأب الكريم فقرت عينه وذهب ما على بصره ثم قال ﴿ أَلَمْ أَقُل لَكُمْ إنِّى أَعْلَم مِنَ اللَّه مَا لاتَعْلَمُون ﴾[4] إنه إيحاء من الله شَدُّوا رحالهم إلى مصر فلما وصلوا دخلوا على يوسف فآوى إليه أبويه يعقوب وزوجهِ (خالة يوسف) وسجد الجميع ليوسف وتلك تأويل رؤياه من قبل لأن رؤيا الأنبياء حق وها هو بعد السجن بيده الحل والعقد والأمر والنهى ، وها هى الأسرة يجتمع شملها بعد صنيع الشيطان بينها ، ولكن لطف الله تداركها لأنه عليم حكيم بكل شيء فى هذا الموقف العظيم والعفوالكريم بعدما حدث ليوسف الأمين وهو متمسك بدينه وشرفه وكرامته ووفائه ودأبه على الدعاء إلى الله فخروجه من السجن والتئام الشمل كل ذلك جعله يسجد لله شكرا معلنا نعمته عليه داعيا أن يتولاه فى الدنيا والآخرة ، وأن يتوفاه مسلما غير عاصٍ ولا آثم وأن يلحقه بالصالحين من آبائه الأنبياء .

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيتَنِى مَنِ الْمُلْكِ وَعَلمْتَنِى منْ تَأوِيلِ الأحَادِيث فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والْأرْضِ أنْتَ وَلِيِّى فى الدُّنْيَا والآخِرَة تَوَفَّنِى مُسْلِما وَألْحَقْنِي بالصَّالِحِينَ)[5]

(١) ٩٣ يوسف (٢) ٩٤ يوسف .

(٣) ٩٥ يوسف (٤) ٩٦ يوسف .

(٥) الآية ١٠١ سورة يوسف .

وفاته : -

قال المؤرخون : كان عمر يعقوب عندما التقى بابنه يوسف مائة وثلاثين سنة (١٣٠) ثم توفى يعقوب بعدها بسبع عشرة سنة ، وعاش يوسف عليه السلام من السنين مائة وعشرا (١١٠) ومات فى مصر ودفن بها وكان قد أوصى إخوته أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن مع آبائه ، وقد نقل رفاته إلى الشام أيام موسى ودفن بنابلس على الأرجح وذلك قبل مولد موسى بأربع وستين سنة على الصحيح من الأقوال رحمه الله رحمة واسعة إنه سميع مجيب الدعاء[١]

مع الإمام الرازى فى مسك الختام :- قبل إخوة يوسف من أبيهم وصيته فعادوا إلى مصر ودخلوا على يوسف فقالوا له ﴿ **يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ** ﴾ وهنا يأتى التساؤل :

السؤال الحادى والأربعون : - إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل ؟ قلنا : - لأن المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا نجربه فى ذكر هذه الأمور فإن رق قلبه لنا ذكرنا المقصود وإلاسكتنا فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة .

السؤال الثانى والأربعون : - من أين عرف أن إلقاء القميص على وجه يعقوب يوجب قوة البصر ؟

والجواب : ما قاله المحققون من أنه إنما عرف ذلك بوحى من الله تعالى ، ولولا الوحى لما عرف ذلك ، لأن العقل لايدل عليه وروى أن يهوذا قال أنا أحزنته بحمل القميص الملطخ بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته . .

(١) من كتاب النبوة والأنبياء / محمد على الصابونى ص ٢٥٩ طبعة دار الحديث

السؤال الثالث والأربعون : - كيف وصلت تلك الرائحة إلى يعقوب ؟

اختلف فى الجواب : فقال مجاهد : هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة فى الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام أنه ليس فى الدنيا من ريح الجنة إلاما كان من ذلك القميص فمن ثِمَّ قال ﴿ **إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسَفَ** ﴾

وروى الواحدى بإسناده عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنه قال : أما قوله ﴿ **اذهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا** ﴾[1] فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم فى النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة[2] من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه ، فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله فى قصبة من فضة وعلقها فى عنقه فألقى فى الجب والقميص فى عنقه فذلك قوله ﴿ **اذهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا** ﴾ والتحقيق أن يقال : إنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات والأقرب أنها معجزة ليعقوب . قال أهل المعانى : إن الله تعالى أوصل إليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجىء وقت الروح والفرح من المكان البعيد وذلك يدل على أن كل سهل فهو فى زمان المحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الإقبال سهل .

السؤال الرابع والأربعون : - وعدهم يعقوب بالاستغفار فلماذا لم يستغفر لهم فى الحال ؟

الجواب : قال ابن عباس والأكثرون : أراد أن يستغفر لهم فى وقت السحر ، لأن هذا الوقت أوفق الأوقات لرجاء الإجابة وفى رواية

---

١ - الآية ٩٣ يوسف

٢ - الطنفسة : البساط والجمع طنافس

أخرى أخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لأنها أوفق الأوقات للإجابة . وقيل : أراد أن يعرف أنهم هل تابوا فى الحقيقة أم لا ، وهل حصلت توبتهم مقرونة بالإخلاص التام أم لا والأخير على أنه استغفر لهم فى الحال وقوله ﴿ سَاَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ﴾ معناه : إنى أداوم على هذا الاستغفار فى الزمان المستقبل .

السؤال الخامس والأربعون : - مامعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر ؟ قلنا : كأنه حين استقبلهم نزل بهم فى بيت هناك أو خيمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه وقال لهم ﴿ ادْخُلواْ مِصْرَ ﴾[1]

السؤال السادس والأربعون : - كيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب وهو أبوه والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ ؟

والجواب عنه من وجوه : -

الوجه الأول : - وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء أن المراد بهذه الآيه أنهم خروا له أى لأجل وجدانه سجدا لله تعالى فالسجود كان سجوداً للشكر فالمسجود له هو الله والدليل على صحة هذا التأويل أن قوله ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرشِ وَخروا لَه سُجَّدًا ﴾[2] مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له ، ولو أنهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير لأن ذلك أدخل فى التواضع . فإن قالوا : فهذا التأويل لا يطابق قوله ﴿ يَاأَبتِ هَذَا تَأوِيلُ رُؤيَاى مِنْ قبلُ ﴾ والمراد منه قوله ﴿ إنِّى رَأيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكبَا والشَّمسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُم لى سَاجدِينَ ﴾ ؟ قلنا هذا مطابق ويكون المراد من قوله ﴿ والشَّمْسَ والَّقَمَرَ رأيْتهُمُ لِى ساَجِدِيَن ﴾ لأجلى أى أنها سجدت لله لطلب مصلحتى وللسعى فى إعلاء منصبى وإن كان هذا محتملا سقط السؤال

الوجه الثانى : - أن يقال : إنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله

١ - ٩٩ يوسف ٢ - ١٠٠ يوسف

شكرا لنعمة وجدانه وهذا التأويل حسن يقال صلى للقبلة

الوجه الثالث : - قد يسمى التواضع سجودا والمراد بالخرور المرور بدليل قوله تعالى ﴿ **لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وعُمْيَانًا** ﴾[1]

الوجه الرابع : - أن نقول الضمير فى ﴿ **خَرُّوا لَهُ** ﴾ غير عائد إلى الأبوين بل إلى إخوته وإلى سائر من كان يدخل عليه لأجل التهنئة أما هما فقد عظمهما بالرفع على العرش . ويكفى فى صحة الرؤيا ذهاب يعقوب مع أولاده إلى مصر لأجل يوسف ففيه نهاية التعظيم له .

الوجة الخامس : - لعل الفعل الدال على التحية والإكرام فى ذلك الوقت هو السجود وهذا فى غاية البعد لأن المبالغة فى التعظيم كانت أليق بيوسف منها بيعقوب .

الوجه السادس : - لعل إخوته حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن لا يسجدوا له على سبيل التواضع فخشى يعقوب من الفتن ففعل ذلك لنزول أنفة إخوته .

الوجه السابع : - لعل الله تعالى أمر يعقوبَ بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها إلاهو كما أمر الملائكة بالسجود لحكمة لايعرفها إلاهو ، ويوسف ما كان راضيا بذلك فى قلبه إلا أنه لما علم أن الله أمره بذلك سكت .

السؤال السابع والأربعون : - ذكر إخراجه من السجن ولم يذكر إخراجه من - البئر - فلماذا ؟

الجواب من وجوه : -

الأول : - أنه قال لإخوته ﴿ **لَاتَثْرِيبَ عَلَيكُمُ الْيَوْمَ** ﴾[2] ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك تثريبا لهم فكان إهماله جاريا مجرى الكرم .

الثانى . أنه لما خرج من البئر لم يصر ملكا بل صيروه عبدا أما لما

---

١ - الأية ٧٣ الفرقان   ٢ - ٩٢ يوسف

حرج من السجن صيروه ملكا فكان هذا الإخراج أقرب من أن يكون إنعاما كاملا . الثالث : أنه لما خرج من البئر وقع فى المضار الحاصله بسبب تهمة المرأة فلما أخرج من السجن وصل إلى أبيه وإخوته وزالت التهمة فكان هذا أقرب إلى المنفعة . الرابع : قال الواحدى النعمة فى إخراجه من السجن أعظم لأن دخوله فى السجن كان بسبب ذنب همَّ به ، وهذا ينبغى أن يحمل على ميل الطبع ورغبة النفس وهذا وإن كان فى محل العفو فى حق غيره إلا أنه ربما كان سببا للمؤاخذة فى حقه لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

السؤال الثامن والأربعون : - ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً ﴾[1] هل هو طلب منه للوفاة أم لا ؟

والجواب قال : قتادة سأل ربه اللحوق به ، ولم يتمن نبى قط الموت قبله ، وكثير من المفسرين على هذا القول وفى رواية عطاء : يريد إذا توفيتنى فتوفنى على دين الإسلام فهذا طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام وليس فيه مايدل على أنه طلب الوفاة .

السؤال التاسع والأربعون : - لقائل أن يقول : الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الإسلام فكان هذا الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وأنه لايجوز ؟

والجواب : أحسن ماقيل فيه إنه كمال حال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الإسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفسح القلب فى هذا الباب ، وهذه الحالة زائدة على الإسلام الذى هو ضد الكفر ، فالمطلوب هاهنا هو الإسلام بهذا المعنى .

السؤال الخمسون : - أن يوسف عليه السلام كان من أكابر الأنبياء عليهم السلام والصلاح أول درجات المؤمنين ، فالواصل إلى الغاية

١ - الآية ١٠١ يوسف

كيف يليق به أن يطلب البداية ؟
والجواب : قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين يعنى بآبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب والمعنى ألحقنى بهم فى ثوابهم ومراتبهم ودرجاتهم وهاهنا مقام آخر من تفسير هذة الآية على لسان أصحاب المكاشفات ، وهو أن النفوس المفارقة إذا أشرقت بالأنوار الإلهية واللوامع القدسية فإذا كانت متناسبة متشاكلة انعكس النور الذى فى كل واحدة منها إلى الأخرى بسبب تلك الملازمة والمجانسة ، فتعظم تلك الأنوار وتقوى تلك الأضواء ومثال تلك الأحوال . المرآة الصقيلة الصافية إذا وضعت وضعا متى أشرقت الشمس عليها انعكس الضوء من كل واحدة منها إلى الأخرى فهناك يقوى الضوء ويكمل النور ، وينتهى فى الإشراق والبريق واللمعان إلى حد لا تطيقه العيون والأبصار الضعيفة فكذا هاهنا .

المسألة الثامنة عشرة : - ﴿ قَالوا تَاللَّهِ لَقد آثرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِين . قَالَ لَاتَثْرِيبَ عَلَيكم الْيَوْم يَغْفِرُاللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الراحِمِينَ ﴾(١)

اعلم أن يوسف عليه السلام لما ذكر لإخوته أن الله تعالى مَنَّ عليه وأن من يتق المعاصى ويصبر على أذى الناس فإنه لايضيعه الله صدقوه فيه ، واعترفوا له بالفضل والمزية ﴿ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ قال الأصمعى : يقال آثرك إيثارا أى فضلك الله والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك ، واحتج بعضهم بهذه الآية على أن إخوته ما كانوا أنبياء لأن جميع المناصب التى تكون مغايرة لمنصب النبوة كالعدم بالنسبة إليه فلوشاركوه فى منصب النبوة لما قالوا ﴿ تَاللَّه لقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ وبهذا التقدير يذهب سؤال من يقول لعل المراد كونه زائدا عليهم فى الملك وأحوال

(١) الآية ٩١ ـ ٩٢ يوسف

الدنيا وإن شاركه في النبوة لأنا بينا أن أحوال الدنيا لا يعبأ بها فى جنب منصب النبوة . وأما قوله ﴿ وَ إنْ كُنّا لخاطِئين ﴾ قيل الخاطىء هو الذى أتى بالخطيئة عمدا وفرق بين الخاطىء والمخطىء فلهذا الفرق يقال لمن يجتهد فى الأحكام فلا يصيب إنه مخطىء ولا يقال إنه خاطىء . وأكثر المفسرين على أن الذى اعتذروا منه هو إقدامهم على إلقائه فى الجب وبيعه وتبعيده عن البيت والأب وقال أبو على الجبائى : إنهم لم يعتذروا إليه من ذلك لأن ذلك وقع منهم قبل البلوغ فلا يكون ذنبا فلا يعتذر منه ، وإنما اعتذروا من حيث إنهم أخطئوا بعد ذلك بأن لم يظهر وا لأبيهم ما فعلوا ، ليعلم أنه حى وأن الذئب لم يأكله وهذا الكلام ضعيف من وجوه : -

الوجه الأول : - أنا بينا أنه لايجوز أن يقال إنهم أقدموا على تلك الأعمال فى زمن الصبا لأنه من البعيد فى مثل يعقوب أن يبعث جمعا من الصبيان غير البالغين من غير أن يبعث معهم رجلا عاقلا يمنعهم عما لا ينبغى ويحملهم على ما ينبغى .

الوجه الثانى : - هب أن الأمر على ما ذكره الجبائى إلاّ أنا نقول غاية ما فى الباب أنه لا يجب الاعتذار عن ذلك إلا أنه يمكن أن يقال إنه يحسن الاعتذار عنه والدليل عليه أن المذنب إذا تاب زال عقابه ثم قد يعيد التوبة والاعتذار مرة أخرى ، فعلمنا أن الإنسان أيضا قد يتوب عندما لا تكون التوبة واجبة عليه .

واعلم أنهم لما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم مجرمين خاطئين قال يوسف ﴿ لاتَثْرِيب عَلَيكُم الْيَوْمَ يَغْفِرِ اللَّهُ لكُمْ ﴾ وفيه بحثان

البحث الأول : - التثريب التوبيخ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام " إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب[1] " أى ولا يعيرها

(١) رواه البخارى فى كتاب البيوع . باب بيع العبد الزانى ٢ / ١٨ . وفى كتاب العتق بنحوه . باب كراهية التطاول الرقيق ٢ / ٨٤ . ومسلم بنحوه فى كتاب الحدود حديث ٣٠ . ٣١ . ٣٢ . وأبو داود بنحوه فى كتاب الحدود . باب فى الامة تزنى ولم تحصن حديث ٤٤٦٩ ، ٤٤٧٠ . ٤٤٧١ . ٤ / ١٦٠ ، ١٦١ والترمذى بنحوه فى الحدود باب ماجاء فى الرجم على الثيب ٦ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ وابن ماجه بنحوه فى الحدود . باب إقامة الحدود على الإماء حديث ٢٥٦٥ . ٢٥٦٦ . ومالك فى الموطأ بنحوه فى كتاب الحدود . باب جامع ما جاء فى حد الزنا حديث ١٤ . ٢ / ٨٢٦ .

بالزنا فقوله (لاتثريب) أى لاتوبيخ ولا عيب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد إزالة الجلد قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها إلى الشيوخ ألاترى إلى قول يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمْ ﴾ وقول يعقوب ﴿ سَوْفَ أَسْتَغفِرُ لكُمْ رَبِى ﴾

المبحث الثانى : - أن قوله اليوم إما متعلق بتثريب أى لاأثر بكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بسائر الأيام وفيه احتمال آخر وهو أنى حكمت فى هذا اليوم بألاتثريب مطلقا وإما متعلق اليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى التثريب مطلقا بشرهم بأن الله غفر ذنبهم فى هذا اليوم وذلك لأنهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا وتابوا فالله قبل توبتهم وغفر ذنبهم فلذلك قال ﴿ **الْيَوْمَ يَغْفِرِ اللَّهُ لكُم** ﴾

المسأله التاسعة عشرة : - ﴿ **وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السَّجْنِ وَجَاءَبِكُمْ مِنَ الْبَدْو** ﴾(١) تمسك أصحابنا بهذه الآية على أن فعل **العبد خَلق الله تعالى لأن خروج العبد من السجن أضافة إلى نفسه** ومجيئهم من البدو وأضافة إلى نفسه سبحانه وهذا صريح فى أن فعل العبد بعينه فعل الله تعالى وحَملُ هذا على أن المراد أن ذلك إنما حصل بإقدار الله تعالى وتيسيره عدول عن الظاهر

المسأله العشرون : - ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيتنِى مِنَ الملكَ وَعَلَّمتنِى مِنَ تَأْوِيل الأَحَادِيَث** ﴾(٢) روى أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب وطاف به فى خزانته فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب ، وخزائن السلاح فلما أدخله مخازن القراطيس(٣) قال يابنى ماأغفلك

---

(١) الآية ١٠٠ يوسف .

(٢) الآية ١٠١ يوسف .

(٣) القرطاس ما يكتب فيه .

عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى على ثمان مراحل قال نهانى جبريل عنه قال سله عن السبب قال أنت أبسط إليه فسأله فقال جبريل أمرنى الله بذلك لقولك ﴿ **وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ فهلا خفتنى وروى أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم دفنه بجنب أبيه إسحاق بالشام وكان ذلك فى عهد الغزاة الأجانب الذين يسمون بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قد موا إلى مصر من بلاد الشام إلى أن طردهم أحمس الأول إلى ما وراء الحدود المصرية[1]

(١) تعليق المنتخب فى التفسير ص ٣٣١ هامش .

« الفصل الخامس والأخير »

« أخــلاق مستفــادة مــن الصــديــق »
« يوسف عليه السلام »

١ - الإيمان والثبات والرزانة .
٢ - خلق الصبر .
٣ - فضيلة الشكر .

الإيمان والثبات والرزانة :

إن طيب الأصل إذا قواه طيب البيئة وجد الإنسان على أكمل الأوصاف ، وأروع الخصال وصار خيرا لا شر فيه ، وأحس بالشرف وتمسك بالفضيلة وهكذا يوسف عليه السلام غذى بلبن النبوة ونشأ على التقوى أصلح نشأة ، يذكره أبوه بآبائه الصالحين وكان عاملا بما علم ، هذا الإيمان جعله يلاقى الصعاب ، ويواجه العواصف النفسية والأخطار فى سبيل تأييد ذلك المبدأ الحق .

استمسك بمبدأ العفاف والتقوى وقابل جميل السيد بالشكر والوفاء ، ولجأ إلى الله عند الابتلاء ، ووضع دينه فى أعماق نفسه يدعو إليه ويبشر به حتى فى أحلك الساعات وأشد الأوقات وتظهر رزانته عندما جاء الإفراج أبى الخروج إلى أن تظهر على الساحة براءته ونقاء صفحته فما أجدره من شاب يحتاج إلى أخلاقه فى دنيانا الشباب !

خلق الصبر :

الصبر هو حبس النفس على ما تكره وهو من مميزات الإنسان وكان يوسف متحليا به ذكر فى القرآن فى أكثر من سبعين موضعا وبه تنال الدرجات وتكثر الخيرات جزاؤه غير محدود بل بكرم الله الواسع وجوده العميم والصبر نصف الإيمان صبر يوسف على إيذاء إخوته له ، وعلى بيعه وعلى محنته وإغرائه وسجنه وفوق كل ذلك صبر وغفر لإخوته .

هذا قليل من كثير من المواقف الكريمة التى تشهد له أنه رجل ضرب الأمثال العالية بأخلاقه الطاهرة وحكمته العالية ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرا كَثِيراً وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُواْ الأَلْبَابِ** ﴾[١] .

---

(١) ٢٦٩ البقرة

ما أشد حاجتنا فى دنيانا الآن إلى الصبر ، والعفة ، وضبط النفس ، والشجاعة ، والحلم ، وسعة الصدر ، وكتمان السر ، والقناعة ، فتلك هى الدواء لما نعانيه من أدواء فى مجتمعنا وأسرنا وقلوبنا ﴿ واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ ﴾(١) .

فضيلة الشكر :

الشكر من أخلاق الربوبية ﴿ واللَّهُ شكُورٌ حَلِيمٌ ﴾(٢) . وهو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم والفرح بها والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه .

وقد كان الصديق يوسف عليه السلام متحليا به تحدث بنعم الله عليه وعلى آله ، واعترف بنعمة ربه عليه من الملك وتأويل الأحاديث . وبالشكر تزيد النعمة ﴿ لِئَنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم وَلَئِن كَفَرْتُمْ إنَ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾(٣) .

فهلا لشبابنا وفتياتنا أن يشكروا الخالق على نعمائه والآباء والأمهات على التربية والرعاية والمعلمين على التوجيه والتربية والتعليم والمجتمع والوطن على ماقدمه لهم من خير عميم وفضل عظيم ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمَ ﴾(٤) .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) ٤٥ البقرة .

(٢) ١٧ التغابن

(٣) ٧ سورة إبراهيم

(٤) ٢٩ الحديد .

المراجع

١ - تفسير الإمام البيضاوى .
٢ - الفخر الرازى .
٣ - فى ظلال القرآن .
٤ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
٥ - قصص الأنبياء (للمرحوم عبد الوهاب النجار) .
٦ - صفوة التفاسير .
٧ - النبوة والأنبياء (محمد على الصابونى) .
٨ - فتح البارى .
٩ - صحيح مسلم .
١٠ - التفسير والمفسرون .

الفهـــرس

الفصل	الموضوع	الصفحة
	الإهداء	٣
	المقدمة	٥
	مع الإمام الرازى	٩
	جوانب شخصيته العلميه	١٢
	تفسيره مفاتيح الغيب	١٣
الفصل الاول		١٥
	كرم الأصل	١٧
	رؤيا حق	١٧
	مؤامرة وتنفيذ	٢٢
الفصل الثانى		٣١
	فى بيت العزيز	٣٣
	مغريات مع إيمان وثبات	٣٤
	واقعة الهم	٣٦
	مع المفسرين	٣٨
	شهادة عظمى	٤٠
	حديث المدينة	٤١
	يوسف فى السجن	٤٢
الفصل الثالث		٥١
	براءة وإكرام	٥١
	يوسف وتعبيره للرؤيا	٥٣
	على خزائن الأرض	٥٧

الفصل الرابع ٦٥
عفو وإحسان ٦٥
اخوته فى مصر ٦٧
لقاء الشقيقين ٧٠
عفو أخوى ولقاء أسرى ٧٨
الفصل الخامس ٩٠
أخلاق مستفادة من يوسف ٩١
الإيمان ٩١
الصبر ٩١
الشكر ٩٢
المراجع ٩٣
الفهرس ٩٥

رقم الايداع ٨٧/٩٠٣٢